الى القارئ

الإيمان بالاختيار
معناه الشعور بالمسؤولية

نبهنا في كلمة الشهر الماضي ـ في صدد الحديث عن توجيه الشباب خاصة ، وسائر الناس مهما كانت أعمارهم واختلفت بيئاتهم بصفة عامة ، والبحث عن القيم التربوية التي من شأنها أن تحفزهم الى تجاوز الذات والبذل من أجل الغير والفوز بالسعادة ـ الى أن الآتجاه « العلموي » محدود الفائدة وأنه يفتقر الى أخلاق سامية وعقيدة راسخة تسخر العلم ذاته ، والتكنولوجيا والتقنية ، الى خدمة الخير والعدل والوئام بين البشر لأن المعرفة العلمية من دون أخلاق خراب للروح ومفسدة للضمير ، كما ذهب الى ذلك عدد كبير من المفكرين قديما وحديثا ، وقد أجمعوا اليوم ـ أو كادوا ـ كما لاحظ ذلك بيار إيمانويل Pierre Emmanuel ، على أنه انتهى حلم الذين كانوا يؤملون وضع تخطيط علمي يجرد الانسان من إنسانيته ويحوله الى إنتاج كامل الصنع ، وأن الواقع خيب آمال الذين كانوا يلتمسون حلولا تقنية للمشاكل عوض البحث عن نمط حضاري جديد ، مما يبوىء الثقافة المنزلة التي تستحقها بوصفها لا مكيفة بالاقتصاد ، بل مكيفة له وضرورية لتوجيهه الوجهة المثلى • وأضاف هذا المفكر الفرنسي ، بعد أن لاحظ أن العالم الفرنسي أو الالماني ـ مثلا ـ يشعران بأنهما أقرب الى زميلهما الامريكي او الياباني منهما *الى شاعر أو أديب من الناطقين بلغتهما* ، أضاف أنه « أولى بالمسؤولين أن يصغوا الى الفلاسفة ورجال الفن والأدباء أولئك الذين ما زال يجهلهم كل من تشبث بالمظهر « الايجابي » للواقع فاهمل بذلك واقع الانسان ! » •

ونحب اليوم أن نتعرض الى خطأ ثان كثيرا ما يقع فيه بعض المتمذهبين « الدغماتيين » ونفر من الشبان المنبهرين بالنظريات البراقة والشعارات الرنانة ، وهو الايمان « بالقدرية التاريخية » وتفسير كل الظواهر والاحداث بل التنبؤ بالمستقبل بآسم « نواميس التاريخ » وطبيعة الأشياء ، مما يقعدهم عن العمل البناء ويحملهم على انتظار حكم التاريخ ، أو يزج بهم في نمط من الثورية « اللفظية » أو الفوضوية أو الانكارية ••• ترغي وتزبد وتشوه وتهدم ، فهي كالأفيون تخدر وتوهم بالفعل وفحولة الفعل بينما هي في

الواقع ضرب من الهروب الى الأمـام ، تفضى الى ضيـاع المتغرغرين بها أو استدراجهم فى شتى أنواع التورط والتواطىء أو الخمول والانكسار •

وحجة هؤلاء ، بل منطق الذين علموهم السحر ، هو مـا يعتقـدون أنهم آستمدوه من استقراء التاريخ ! وكثيرا ما يقولون الاحداث التاريخية أكثـر مما تقول فى الواقع ، ويؤولون ويبرزون التافه من المعطيات ويغفلون الهـام والحاسم منها ، لأنهم « ملزمون » إلزاما بمذهب ، يجب أن يخضع له كل شىء بعد أن خضعت له وتكيفت به شخصية (؟) المتمذهب أو المريد بصورة تكاد تكون مطلقة •

إن هؤلاء يظنون أنهم تخلصوا من المعتقدات الدينية وتساموا عن التحليلات الذاتية والدراسات الموجهة ، واعتمدوا الجدلية الموضوعية ، والمادية العلمية ، والعلوم الاجتماعية وهم لم يغيروا فى الواقع شيئا من « التمشى » السلبى لتفكيرهم ، لكنهم عوض أن ينسبوا الاحداث الى قوة ماورائيـة كما يفعـل « الرجعيون » أو السلف حسب آدعائهم اخترعوا هم « التاريخ » وآعتمدوه برهانا فى التفكير ومرجعـا فى الاتجـاه والسلـوك • والخضـوع ـ عقليـا وفلسفيا ـ هو هو فى كلا الحالين !

إن الاحداث التاريخية لا تنطق بوضوح أو تكشف عن معانيها بموضوعية مطلقة ، لأنها نسبية فى المكان والزمان ، ومكيفـة بالشخص (أو الجمـاعة) الذى أقدم على صنع التاريخ وأفلح فى عملـه ، بل هى معطيـات « خـام » وحيادية فى حد ذاتها ، خـالية من المقـاصد الفلسفيـة أو السيـاسية أو الجمالية ، وإنما يؤولها الناس فتنطق بلسانهم وتتأثـر بمـواقفهم وتؤيـد آتجاهاتهم وتبرر أعمالهم !

يقول المؤرخ الانكليزى E.H. Carr فى كتابه : « ما هو التاريخ ؟ » : « أن الاحداث لا تشبه فى الحقيقة سمكا معروضا على رف البائـع ، بـل هى شبيهة بسمك يسبح فى محيط فسيح الأرجاء ، صعب المراس ، وما سيصيبه الصياد منه متوقف على الصدفة ولكن قبل كل شىء على جهـة المحيط التى يكون قد اختارها وعلى الآلات التى يستعملها ؛ وعلى كل فان المؤرخ سيصيب الاحداث التى كان يؤمل الفوز بها » •

لذلك يشبه ج• ف• كاهـن J.F. KAHN المؤرخ ـ والمتمذهب ؟••• ـ بالكاهن الذى يتولى قراءة الاحداث التاريخية كما يقرأ الرموز ، فيستمد منها ما يتماشى مع ما يؤمن به أو ما يدعو إليه •

ولو نظرنا فى الثورة الفرنسية ـ على سبيل المثال ـ للاحظنا أنها أولت

تآويل مختلفة متضاربة ! منها تآويل التشيعين الى الملوكية مثل المؤرخ فاكزوت (Gaxotte) ، وتأويل أنصار « الجيرونـدان » مثل لامـرتين Lamartine ، وتأويل أشياع « المتنايـار » مثل مـاتييز Mathiez والتأويل الاشتراكي (جوريس) Jaurès ، والتأويل الماركسي (سوبول) Soboul ، والتأويل المحافظ المتحرر (تـان) Taine وهكذا يتأثر كل من يستقرىء التاريخ فيختار من الاحداث ما يروق له ويتناسب مع ما يؤمن به ثم يؤولها بحيث تخدم الهدف الذى رسمه لنفسه ، من دون أن يشعر بذلك فى كثير من الاحيان .

إن الاحداث التاريخية يصنعها الانسان العـامل المسؤول ، الذى يتوكـل على الله ولا يتواكل أو يتعاون مـع إخـوانه فى الانسانية ولا يـذوب فيهم ، ويستمد الطاقة على العمل والانجاز والمثابرة والصمـود من نفسـه الكبيـرة وطموحه الواسع وعزيمته الفولاذية ، ولا يصيبه الغرور أو يتملكه الزهو ، أو يعتريه اليأس والفتور .

إن هذا الانسان العـامل ،المسـؤول ، الخلاق ، كثيـرا مـا تحـدى مـا كان يؤمن به الأكثرية ويعتبرونه « سنة » من سنن التاريخ الثابتة ! لذلك استهدف العلماء والمفكرون ورجال السياسة الأفذاذ الى ردود الفعل السلبية التى يـواجههم بهـا معـاصروهم وحتى « زمـلاؤهم » فى الاختصـاص أو « رفـاقهم » فى الكفـاح .

هذا ما يجب أن يعرفه شبابنا حتى يفلتوا من هذه « القدرية » العصرية ، ويعتمدوا على أنفسهم ويثقوا بها وبذلك يقفون حياتهم من أجل ما يرونه حقا وخيرا وعدلا ثم يعملون ويغامرون ويركبون الصعاب ، ويضحـون بالتـافه الفانى ويتمسكون بالجوهر الباقى ويخلصون دوما الى مثلهم الاعلى فى الحياة.

فلا يقوالن الشباب إن الحظ أو الصدف أو الأقـدار أرادت لهم المنزلة التى هم فيها وأنه لا حول لهم ولا قوة امام نواميس الطبيعة وقـوة الاشياء . ولا يكونن من القعدة الذين قـال أبـو نـواس فى أحـدهم : « قعـدى يفضـل التحكيمـا ! » ولا يرددن أن التاريخ يجرهم جرا الى مستقبلهم كمـا تدفـع الرياح بالمركب التائه بين الأمواج المتلاطمة ، بل ليتذكروا أن الحياة عقيـدة وجهاد وأن تاريخ تونس الحديث دليل على أن القدر يستجيب دوما لمن يؤمن ويعمل ويجاهد ويصمد .

أليس فى نبذ التواكل و « القدرية » التاريخية العصرية ولو تزيت بـزى العلم والموضوعية ما يبدد أوهام الشباب ، ويقهر قوى اليأس والخمول التى ترصدهم ، ويساعدهم على تبين رسالتهم والتزام النضال الصادق الشجاع من أجلها والفوز بالسعادة الحق عند البذل والتضحية فى سبيلها ؟

أليس الايمان الحى بالاختيار ، أى الشعور الواعى بالمسؤولية كفيـلا بان يمكن الأجيال الصاعدة من أن تنتصر على حيرتها وتتجاوز متناقضاتها وتصنع مستقبلها قبل أن يصنعها فتصبح له صنيعة ؟!

مواضيع مصيرية للتدبر

بقلم : البشير بن سلامة

إن ما دأبنا عليه فى هذه المجلة هو الحرص على أن نطلع القارىء ــ حسب الامكان ــ بما يفيده فى تدبر أمره بصفته فردا يحتاج الى وعى منزلته فى مجتمعه والنهوض بكيانه ليرتفع ويسمو ماديا ومعنويا والنجاة بذاته مما قد يصيبها من آفات التردى فى دركات الزيف البراق والانحلال المريح والتواكل المغرى والجدب القاتل ٠ كما عملنا على ألا نصرفه عن قضاياه المصيرية بصفته مواطنا مرتبطا بشعبه وأمته فى السراء والضراء ٠

لقد لفتت انتباهى فى هذه الايام الاخيرة أثناء مطالعاتى ثلاثة مواضيع قد يتبادر الى الذهن أنها بعيدة الارتباط بعضها ببعض وقد يصعب إقحامها فى مشاغلنا نظرا الى عموميتها ، على الأقل بالنسبة لموضوعين منها ٠ ثم قلت إنه من المستحسن أن أعرضها على القراء الكرام ليتدبروها ويقولوا إن أرادوا كلمتهم فيها ٠

صدر الموضوع الاول فى جريدة « لوموند الديبلوماسى » ويتعلق بـ « الامبريالية الثقافية » (I) وهو ملف يحتوى على بعض المواضيع المرتبطة بهذه الظاهرة الجديدة التى تصيب الشعوب فى هذا العصر ٠ أما الموضوع الثانى فقد عرضه على قراء جريدة « لوموند » اليومية وزير مكلف بالاعلام والعلاقات الثقافية بسفارة الولايات المتحدة الامريكية بباريس يعالج فيه موضوع « الامبريالية اللغوية الفرنسية » (2) ، وانصرف اهتمامى الى موضوع ثالث صدر بمجلة « مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية » التابع لجامعتنا فى تونس وهو بحث يتقصى دور الكلام فى

(I) — L'impérialisme Culturel, Le Monde diplomatique, Décembre 1974

(2) — Brunett Anderson, « L'impérialisme linguistique » de la France, Le Monde 2 Janvier 1975

النمو النفسانى ويركز اهتمامه على المساهمة فى دراسة اختيار لغة التعليم وقامت بهذا العمل الباحثة عليا بفون (3) •

واعتقد ان هذه المواضيع الثلاثة مترابطة أشد الترابط لأنها موجهة الى العالم الثالث ومتعلقة خاصة باختيارنا للغة الفرنسية كلغة ناقلة وأكثر من ذلك فهى تدعونا الى تصور بعض المواضيع التى كنا طرحناها على قرائنا الكرام وعالجناها على صفحات هذه المجلة ولكن على نسق آخر لان هذه المواضيع متجددة ومتكيفة على حسب ما يجرى فى العالم وبقدر ما يطرأ على المجتمعات من تطور وتحول •

وإن الذى حدانى الى جمعها بهذه الصورة هو ما نراه من حرص حكومات المغرب العربى على تركيز أسس الوحدة بين هذه البلدان وإن هذه الاسس وإن كانت تظهر من أول وهلة اقتصادية فهى نفسانية قبل كل شىء أى تدعو أولا وبالذات الى التقريب بين المقومات التربوية والثقافية فى البلدان المجاورة لأن الذى يكيف الأفراد ويهيئهم للعيش بعضهم مع بعض إنما هى وحدة التصور للقيم ولأنماط الحياة وليس كالتقريب بين العمل التربوى فى برامجه ومناهجه والعمل الثقافى فى محتواه وتمشياته أضمن لوحدة المصير وأسلم لبناء صرح المغرب العربى الذى هو جزء لا يتجزأ من العالم العربى •

لنبدأ بالموضوع الذى يتعلق بالامبريالية ولنحصره فى بعض النقاط التى تفيد وحدة موضوعنا خاصة وأن الملف يحتوى على مواضيع عديدة مشتتة مختلفة المشارب ورغم ذلك فهى تتحد فى أنها تعتبر أن ضعف الامبراطوريات إنما منشؤه فكرى قبل كل شىء لأن قوة الأمم كامنة فيما تعتمده من أدمغة خلاقة تنبع منها الفكرة مهما كانت سواء فلسفية أو علمية أو فنية فتتحول الى قوة تنظم أحوال البشر وتوفر لهم من الانتاج ومرافق الحياة ما يمكنهم من تطويع الطبيعة وتسخيرها من أجل إسعادهم •

ولهذه الاسباب فان الامبريالية الاقتصادية لا يمكن تصورها من دون سيطرة فكرية وعلمية وتبدو القوة الاقتصادية كانها مظهر لسمو ثقافى يبرر هو بدوره هذه القوة •

(3) — Mme A. Baffoun, Le rôle du langage dans le développement psychologique : contribution à l'étude du choix de la langue d'enseignement Revue Tunisienne des sciences sociales publication du C.E.R.E.S. 10ᵉ année, Année 1973 N° 32 - 33 - 34 - 35.

وإن أبرز ما تقوم به هذه الامبريالية الثقافية إعتمادها على الوسائل العصرية للابلاغ والاشهار فتعمد باسم حرية تنقل الافكار الى صرفها نحو الاتجاه الذى ترجوه حتى تفرض نمطا من الثقافة يجرف معه عقائد سياسية وتصورات اقتصادية وأنساقا اجتماعية من شأنها أن تخدم مصالح الدولة المسيطرة ٠

ومن أخطر ما ينشأ عن الامبريالية الثقافية بفضل ما توفره من الخيرات المادية لمستضعفيها هو سعى أصحابها الحثيث الى طمس معالم تنوع الثقافات لفائدة ضرب من الانسجام عقيم ٠ وكأن التفوق العرقى الذى لم يكتب له النجاح يتوق الى أن يشمل العالم بأكمله وينتشر فى ربوعه فى صورة تفوق ثقافى ينال من تراث الحضارات الغنية بما وجد بينها من فوارق ٠

ويأتى الموضوع الثانى مواصلا لهذه الفكرة مركزا على مثال حى من الرغبة فى الهيمنة الثقافية إذ يبين الوزير الامريكى بالاستناد الى تصريحات المسؤولين الفرنسيين وجود هذه الامبريالية عندما يذكر ما جاء فى تقرير رسمى يتعلق بالمخطط الخماسى الثانى الضابط للتوسع الثقافى الفرنسى يقول التقرير : « إن لفرنسا من انتشار لغتها وإشعاع ثقافتها وأفكارها وروائع أدبها وعلمها وتقنيتها وفنها وقيمة مناهجها فى تكوين الرجال ما يمكن فرنسا من وسائل عمل أساسية تستند اليها سياستها الخارجية ٠ إن العمل الثقافى مرتبط أشد الارتباط بالعمل السياسى والاقتصادى وهو سابق ومدعم ومكمل له وأكثر من ذلك مساهم مباشرة فى عظمة بلادنا على الصعيد العالمى » ٠

ويعتمد هذا الوزير لبيان هذا النوع من الامبريالية على ما قاله السيد بيار لوران (Pierre Laurent) المدير العام للعلاقات الثقافية والعلمية والتقنية سنة 1971 عندما قال : « يجب أن يكون هدفنا الاول النجاح أثناء السنوات العشرين المقبلة فى عملية نشر الفرنكوفونية التى شرعنا فيها الآن » ٠

ثم يدعم السيد أندرسن ما ادعاه من وجود الامبريالية الفرنسية اللغوية بالأرقام عندما يؤكد بالاستناد الى أقوال السيد لوران أن « 28.000 من بين 31.000 رجل تعليم فى الخارج يساهمون بصفة مباشرة أو غير مباشرة فى تعليم اللغة الفرنسية وأن المبالغ المخصصة لنشر هذه اللغة فى العالم تقدر بـ 61.346.250 دينار تونسى (665 مليون فرنك فرنسى) وذلك من دون اعتبار مصاريف الدخول الى المدارس الفرنسية » بينما لا تتجاوز ميزانية

مكتب التربية والثقافة فى وزارة الخارجية الامريكية 50 مليـون دولار (أى ما ينوف على 25 مليون دينار) • ولم يخصص للنهوض باللغة الانقليزية من هذا المبلغ إلا جزء ضئيل •

ويقول السيد أندرسن أن السياسة اللغوية المتبعة من طرف فـرنسا فى الخارج تقوم بعمليات هجومية على واجهات أربع لكل واحدة منها إمكانيـات للعمل تتولاها مؤسسات رسمية فهى :

1) تقوم بمجهود فى ميدان الخلـق يـرمى الى الحفـاظ على حيـوية اللغـة الفرنسية بفضل استنباط رصيد لغوى وعبـارات تتـلاءم مـع التغييـرات السـريعة التى تطـرأ عـلى المجـالات العلميـة والتكنـولـوجيـة والفنيـة والابلاغية • ومن مشمولات هذه السياسة وضع خط دفاعى لحماية لغة اصلها لاطينى من كل تأثير أنقليزى أو غيره مع الملاحظـة أن الجريـدة الـرسمية الفرنسية تنشر من حين الى آخر قائمة فى الالفاظ التى يجب أو يستحسن استعمالهـا •

2) وتعمل على جعل الفرنسية مستعملة فى كل المؤسسات العالمية وأكثر من ذلك تحرص على الاحتفاظ بدورها كلغة رسمية فى أى مكان من العـالم يتيسر فيه ذلك مثل المجموعة الاقتصادية الاوربية •

3) وتحرص على النهوض بتعليم اللغة الفرنسية بالاعتماد على المنح إن لزم ذلك فى مدارس بلدان كثيرة من العالم وحتى بلدان أوربا الشرقية •

4) وتساهم فى نشر اللغات الرومانية الخمس بفضل صيغة مشتركة من التكاتف تتمثل فى منظمة أسست لهذا الغرض وتدعى فيتـرو (الصندوق الدولى للاصطلاحات الرومانية) وإن البرنـامج الذى صـادق عليه ممثلـو إيطاليا والبرتغال ورومانيا واسبانيا علاوة على ممثلى فرنسا ينم عن المظاهر التى تكتسيها السياسة اللغوية الفرنسية •

ويرتبط بهذه الاعتبارات الموضوع الثالث الذى حاولت صاحبته تحليل الوضع اللغوى فى البلاد التونسية ووجـود اللغـة الفرنسية كلغـة ناقلـة (langue véhiculaire) فى التعليم بالمدارس التونسية •

فبعد أن بينت الباحثة المعطيات النظرية للمشكل اللغوى ودور اللغة فى النمو النفسانى تطرقت الى موضوع اختيار لغة التعليم فى بلدان العالم الثالث واستنتجت بعد القيام بالدليل تلو الدليـل على أن كـل عـائق فيزيولوجيا

كان أو عاطفيا أو غيره من شأنه أن يقف عرضة دون تعلم اللغة الأم أو يدخل عليه بطئا ما تترتب عنه انعكاسات سيئة على النمو النفساني برمته ويحدث قطيعة فى مجال الانتقال من الذكاء العملى الى ذكاء الراشدين لأن اللغة الأم علاوة على ما تتيحه من ازدهار فكرى للفرد يكتسى **دورها صبغة اجتماعية من شأنها أن تؤصله فى وسطه وتقيم بينهما روابط من المؤالفة والتعاون ·**

ورغم هذا فالباحثة ترى أن هذا لا يعنى الانغلاق فى اللغة الأم وإنما يجب الاحتياط فى اختيار السن التى تلقن فيها اللغة الثانية فتكون هذه السن خارجة عن الفترات الحساسة التى يمر بها التطور النفسانى للطفل حتى نجنبه كل اضطراب فى تعلمه للانساق الفكرية · لذلك من واجبنا أن نبعده عن كل إرهاق فكرى ولا يتأتى هذا الامر إلا اذا لقن اللغة الثانية بصورة متلائمة من غير أن تتصادم هذه اللغة مع اللغة الأم وينشأ بينهما صراع يحاول كل منهما أن يكسب الرهان فى حلبة السباق · ومهما كان الامر فانه يحسن أن نضمن للطفل الى أقصى حد معرفة اللغة الأم قبل تعليمة اللغة الثانية ·

ثم تتطرق الى الحديث عن الوضع اللغوى فى المغرب العربى وما نتج عنه من اتجاهات تعليمية وتحصى أربعة اتجاهات :

- تعليم يرتكز على لغة واحدة وهى الفرنسية ·
- تعليم يرتكز على لغة واحدة وهى العربية ·
- تعليم يعتمد اللغة العربية الكلاسيكية ·
- تعليم يعتمد اللغة الدارجة المتأثرة باللاطينية ·

وتقول الباحثة إن هذه الاتجاهات لها من يساندها وهى تدل على انها لا تخضع الى مقاييس علمية اجتماعية ثقافية فى اختيار اللغة بل هى تعبير عن مصالح سياسية وايديولوجية فى أغلب الاحيان ·

وتبين فقط الاتجاه الرابع وتؤكد أنه لا ينبع من الجماهير وهو يعتمد على اللغة الدارجة المستنجدة بالحروف اللاطينية قصد تجريد الغة العربية من كل ما هو عاطفى ودينى وهذا الاتجاه اللاطينى يجد مستندا له فى اللغة التركية والصينية ويرتكز على جمع قليل من المثقفين التونسيين وليس له أهمية كبيرة لأنه يريد تهديم لغة القرآن والاعتداء على حرمتها وطبيعتها المقدسة ·

ثم استعرضت الباحثة كل مظاهر الازدواجية ونتائجها وعللت اختيار

المسؤولين فى المغرب العربى للازدواجية مع احتفاظهم بالثقافة القومية ذات النبع العربى الاسلامى بأنهم أرادوا أن تكون اللغة الفرنسية أداة ناجعة وضرورية للانطلاقة الاقتصادية للبلاد • وقدموا هذا الاختيار كأنه حل وقتى نحو تعريب تدريجى ومرحلى • غير أنه ليس هناك ما يدل على العزيمة الصادقة فى التعريب الشامل مما سيجعل اللغة العربية مقتصرة على القيام بدور أدبى شعرى بحت •

وفى مجال تأثيرات الازدواجية تؤكد الباحثة أنه كما قال بيشون (E. Pichon) : « لا تضاعف الازدواجية النمو الفكرى بل هى تذهب بنصفه » لأن اللغة هى بلورة لتفكير الشعب والوضع الازدواجى مضر لنمو الطفل إذ هو يبقى متأرجحا بين نمطين من التفكير مختلفين •

وأخذت مثالا لاختيار الازدواجية البلاد التونسية منذ تسعين سنة • فلاحظت أنه يجب التفريق بين تأثيرات الازدواجية فى الماضى أى قبل الاستقلال وهى لا تشمل إلا نخبة تمثل أقلية ضئيلة وبين الازدواجية الحالية التى تصبو الى احتواء الجماهير عن طريق تعميم التعليم •

وتصنف الباحثة النخبة التونسية التى مرت بتجربة الازدواجية قبل الاستقلال الى ثلاثة أصناف :

1) صنف يعد « نجاحا باهرا » للازدواجية وهو الصنف القادر على ايجاد مكانه فى كلا الوسطين الثقافيين وأبلغ مثال يضرب لنجاح الازدواجية هو النخبة التونسية المتخرجة من المدرسة الصادقية فى فترة الحماية •

2) صنف « النجاح العملى » وانجر عنه انقسام الشخصية فلا يدرى صاحبه أهو غربى أم شرقى • ويمكن أن يؤول الامر بسبب فقدان الشخصية وعدم التلاؤم مع المجتمع الى التجنيس •

3) صنف ناله من التشويه والمسخ ما جعله لا يقدر على السيطرة على أية لغة من اللغتين •

ويظهر أن اختيار الازدواجية فى تونس نشأ عن الاعتبار الاول الذى أبرز نجاح نخبة من الصادقيين أثناء الحماية وكان هذا منطلقا وامتدادا لسياسة الفرنكوفونية •

وعلى كل فان نتائج الازدواجية فى المدارس التونسية بعيدة كل البعد عن تحقيق ما وصلت اليه النخبة الصادقية من حيث الكيف ومضت الباحثة تعدد

بعض الأمثلة للنتائج السلبية التى نتجت عن الازدواجية واعتمدت فى ذلك بحوثا قام بها بعض الأساتذة ٠

ثم تضع الباحثة مشكل إخفاق الازدواجية على مستويين :

1) مستوى له مظاهر بيداغوجية ونفسانية ووراثية :

وهو يبدو فى المدرسة عندما لا يقع مراعاة الفترة الملائمة لتعليم اللغة الثانية ويبدو كذلك فى مجال آخر أعلى وأوسع يتمثل فى الانعكاسات الخطيرة التى تلحق بشخصية الفرد وبالمجتمع بصفة عامة ٠

وتعطى الباحثة عدة حلول لمعالجة الوضع :

ــ أولها الاسراع بالتعريب الكامل فى التعليم الابتدائى فى لغة قريبة من لغة الكلام ولا تدخل اللغة الثانية إلا فى المرحلة الثانوية مثلما هو معمول به فى الاتحاد السوفياتى ٠

ــ ثانيها الابقاء على الاختيار الازدواجى الحالى مع مراعاة قوانين نمو التفكير ونسقه بحيث لا تدخل اللغة الفرنسية الا بعد أن يتحكم التلميذ فى لغته الأم وذلك إما بتعليم الفرنسية فى سن الثامنة وتقوية ساعات العربية فى السنتين الاوليين أو الابقاء على نسق تعليم العربية على ما هو عليه الآن وإدراج الفرنسية فى السنة الخامسة أو السادسة من التعليم الابتدائى ٠

2) مستوى يضبط علاقة القطيعة الموجودة بين اللغة الأم واللغة الاجنبية وما ينشأ عن ذلك من تبعية اللغة العربية :

عددت الباحثة سلبيات الازدواجية فى المغرب العربى وما ينتج عن ذلك من ثنائية ثقافية تكون ضحيتها اللغة القومية المقطوعة عن التقنية وهو ما يدفع الشباب الى الاعراض عنها ٠ ومن الواضح أن هذه الثنائية الثقافية المتمثلة فى الازدواجية بربوع المغرب خطيرة لان الاختيار الازدواجى لا يكون مثرياً الا اذا مكن اللغة القومية من نسق ثقافى يتجاوز النطاق العقائدى والمذهبى وخول لها من إمكانيات المثاقفة (acculturation) والنهضة الاجتماعية ما يجعلها فى مستوى اللغات العالمية ٠

ثم تبين أن نجاح التعليم أو اخفاقه فى المغرب العربى والعالم الثالث بصورة عامة مرتبط أشد الارتباط بالصورة التى تمكن بها المسؤولون من حل مشكل لغة التعليم ٠ وتضيف أن القاعدة الاساسية فى جميع الحالات هى

التشبث باللغة القومية خاصة اذا كانت البلاد لها تراث ولغة قومية مكتوبة وتسوق مثال الفيتنام الذى نجا من خطر الازدواجية • بينما بقى المغرب العربى يتحسس خطاه وليس له من الدراسات العلمية الحديثة ما يمكنه من حل هذا المشكل وهو رغم ذلك بين أمرين إما أن يواصل سياسة الخطأ والصواب الحالية أو يقتنع بضرورة تعليم يعتمد اللغة القومية المجددة ولا يرسم اللغة الثانية فى برامجه الا بعد سيطرة الطفل على لغته الأم فى جميع الميادين الادبية والعلمية •

وأخيرا تعرض الباحثة بعض الحلول لمعالجة الوضع اللغوى والاجابة عن السؤال المتعلق بما هى اللغة العربية التى يجب أن تعلم وكيف تعلم واقترحت تكوين ما سمته بالعربية الاساسية •

هذه إذن المواضيع الثلاثة التى أردت إطلاع القراء عليها وليس فى نيتى هذه المرة التعليق على أهم ما جاء فيها من أفكار قد أوافق عليها أو أدحضها أو أقترح غيرها •

اللغات الأساسية

استنادا الى أعمال الخبراء على اختلاف مشاربهم يمكن تقديم القائمة التالية فى عدد الناس الذين يتكلمون بهذه اللغات :

ـ الصينية :	950.000.000
ـ الانقليزية :	350.000.000
ـ الروسية :	206.000.000
ـ الهندية :	200.000.000
ـ الاسبانية :	192.000.000
ـ الالمانية :	120.000.000
ـ البنغالية :	108.000.000
ـ البرتغالية :	107.000.000
ـ اليابانية :	105.000.000
ـ العربية :	104.000.000
ـ الفرنسية :	82.000.000
ـ الايطالية :	66.000.000

الى امى

إلى حسينة الخشايشي

شعر : عبد المجيد بن جدو

لك يا أم خلجة بضميري   هي حب وومض شوق كبير
لك في مقلتي ومن خفق قلبي   دمعة الخاطر الجريح الكسير
لست أبكيك ، إنما أنا أبكي   فيك نفسي وفيك أبكي مصيري
ذاكرا ساعة بها كنت طفلا   في فراش من الحنان ، وثير
بين أم رعت صباي صغيرا   وأب كان رائدي ومشيري
وإماما يؤمني في حياتي   ويخط الطريق لي في مسيري
كان لي ساعدا فيا رب يوم   كنت ملكا به وكان أسيري
وحباني بعطفه ودعاني   مربما أنت آمر يا أميري
فلكم قد أطاع بالأمس أمري   راكبا فيه كل أمر عسير
ليس بدعا إذا بكيتك يوما   أبتاه – بحر دمع غزير
وبكت مقلتي الكئيبة أما   كان لي حجرها كمهد حريري
أي عرش كحضن أمي تراه   أي تاج أضعت أي سرير
سهرت عينها تلاغي فتاها   ووقتني من الزمان الخطير
آنستني بصوتها وهي تشدو   في حنان : حمى الاله صغيري
ولكم رددت بلحن شجي   صادق الشدو بالليالي مثير
ولدى هل أراك في الأفق نجما   أي نجم به كطفلي منير
ولدى ليس لي سواك ملاذ   يجبر الصدع في فؤادي الحسير
أنت مني كمنزل الروح في الجسـ   ـم قريب ، وأنت خير عشير
صوت أمي وصوتها كان أشهى   يرقص الليل ، وهي عند سريري
وقعته كرعشة في ضميري   مثل مر النسيم فوق الغدير
عشرة لم تطل ولم يبق منها   غير ماض ، وغير أمس ضرير
سجف أسدلت عليه ، وعهد   من زمان – مضى – قصير قصير
مر كالحلم مسرعا غير أني   شمت أمسي به كطيف عبير

ع. ب.

حول الواقعية في القصص النبوي

بقلم : البشير المجدوب

لو التمسنا تعريفا للحديث النبوى يجمع بين الدقة والشمول لقلنا ان الحديث هو « ما ورد عن رسول الله من قول او فعل او تقرير » ، وبعد عصر الرسول ضم الى الحديث ما ورد عن الصحابة ، فالصحابة كانوا يعاشرون النبى ويسمعون قوله ويشاهدون عمله ، ويحدثون بما رأوا وما سمعوا ، وجاء التابعون فعاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا ، فكان من الاخبار عن رسول الله وصحابته « الحديث » .

للحديث قيمة كبرى فى الدين تلى رتبة القرآن ، فكثير من آيات القرآن مجملة او مطلقة او عامة فجاء قول الرسول او عمله فبينها او قيدها او خصصها . كذلك كانت تعرض للرسول حوادث يقضى فيها ، وأسئلة يجيب عنها ، ومبادلة أخذ وعطاء ، وتصرف فى الشؤون السلمية والحربية . كل هذه كانت احيانا ينزل فيها قرآن ، وأحيانا لا ينزل ، وهذا النوع الثانى كالاول مرجع للمشرعين فاقتضى ذلك جميعه العناية بالحديث » (1)

أضف الى ذلك عاملا آخر هو تأثير شخصية النبى الفذة فى نفوس صحابته خاصة وفى نفوس سائر المؤمنين وما يكنونه من اعجاب ومحبة وإجلال له مما يجعلهم يحرصون على تعرف تفاصيل حياته العامة والخاصة رغبة منهم فى الاقتداء بسلوكه (أى سنته) وليزدادوا نفاذا الى أسرار نفسيته .

من هنا كان للحديث قيمة وثائقية كبرى . فهو مرآة تعبر عن حياة الرسول ومكارم أخلاقه ، وعن كفاحه الدائب من اجل بناء مجتمع يقوم على الحق والخير وهو ايضا مرآة صادقة لعصر النبى لانه يزخر بالاخبار التى تصور لنا بكامل الدقة والوضوح ــ حتى لكأننا نشهدها ــ جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية فى ذلك العصر .

---

(1) أحمد أمين « فجر الاسلام » ص 255 ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1935 ، الطبعة الثانية .

لقد حرص الرسول ، كما هو معلوم ، على توحيد صفوف المسلمين والتأليف بين قلوبهم وتوثيق عرى الامة الفتية التى بعثها الى الوجود حتى تكون ــ على حد قوله ــ كالبناء المرصوص يشد بعضه بعضا ٠

انظر الى قوله المشهور عليه السلام : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » (2) ٠

وتأمل فى هذا المثل البليغ الرائع : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؛ فان يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا » (3) ٠

فهذا الحديث يبرز ارتباط شؤون افراد المجتمع وتداخل مصالحهم بحيث لا سلامة ولا نجاة للفرد بغير سلامة الجميع ٠ نحن ابناء الامة الواحدة ، بل والبشر جميعا ــ (وهنا صلاحية هذا الحديث لكل زمان لانه يعبر عن حقيقة انسانية خالدة) ــ قلت نحن ابناء الامة الواحدة كتلة فى سفينة تشق عباب البحر فان تغاضى فريق منا عما يفعله الفريق الآخر من سوء هلك الجميع ٠

ان مصير المجتمع كله موقوف على يقظة أهل الخير وقوة شعورهم بالمسؤولية الاجتماعية وقيامهم بواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قولا وعملا ٠

فهل أبلغ من هذا الحديث لتقوية الروح الاجتماعية ، هذا الروح الذى عبر عنه النبى بطريقة أبسط فى قوله : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته ٠٠ » (4)

فالدين الاسلامى أساسا دين اجتماعى قد ادرج أفراد الامة فى شبكة قوية منتظمة من العلاقات الاجتماعية المتعددة المتنوعة المضبوطة ضبطا محكما دقيقا ٠ هذه الظاهرة تلحظ فى جل اركان الدين الاسلامى وخاصة فى الصلاة (لنذكر

---

(2) صحيح البخارى ج 8 ص 11 ــ 12 ط٠ مصطفى البابى الحلبى مصر 1345 ــ 1347 هـ٠

(3) نفس المصدر ج 3 ص 182

(4) نفس المصدر ج 3 ص 157

تأكيد الاسلام لفضل صلاة الجماعة . ولننظر فى اصل كلمة « جامع ») ونلحظ هذه الظاهرة ايضا فى الزكاة والحج .

الا انه (اعنى الدين الاسلامى) وان الح غاية الالحاح على الوحدة الاجتماعية (يد الله مع الجماعة) فهو لم يأل جهدا فى توفية الفرد حقوقه المشروعة نخص منها احترام حريته وصيانة كرامته وضمان سلامته .

جاء فى الحديث عن على بن ابى طالب قال : « بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال : أليس أمركم النبى صلى الله عليه وسلم ان تطيعونى قالوا : بلى قال : فاجمعوا حطبا . فجمعوا . فقال : اوقدوا نارا . فاوقدوها . فقال : ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبى صلى الله عليه وسلم من النار . فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة ، الطاعة فى المعروف » (5) .

نلاحظ هنا نهيا عن الطاعة المطلقة فلا طاعة ـ كما يقال ـ لمخلوق مهما عظم شأنه فى معصية الخالق ، كما نجد استنكارا للجبروت والطغيان . فكل مرؤوس وخاصة الجندى مطالب بالطاعة والامتثال لأوامر رئيسه وتعليماته ، فى حدود وحسب شروط ، منها أن لا يكون ذلك مخلا بكرامته أو ملقيا به الى التهلكة عبثا .

نجد معنى قريبا من هذا فى الحديث الآتى : « عن ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم لنا لما رجع من الاحزاب لا يصلين احد العصر الا فى بنى قريظة فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلى لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم » (6) .

مثال آخر طريف يرمى الى نفس المغزى وان كان يختلف عن الحديث السابق موضوعا :

« عن ابن العباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كأنى أنظر اليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته فقال النبى صلى الله عليه وسلم للعباس : يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا فقال النبى صلى

---

(5) نفس المصدر ج 5 ص 203 ـ 204
(6) نفس المصدر ج 2 ص 19

الله عليه وسلم : لو راجعته · فقالت : يا رسول الله أتأمرني ؟ · قال : انما أشفع · قالت : فلا حاجة لي فيه · » (7)

يكفي ان نقول ، تعليقا على هذا الخبر ، ان الاسلام يرى ان في حياة الفرد جانبا خاصا ، حمى مقدسا ·· منطقة حراما لا يجوز لغيره التصرف فيها ·

رأينا كيف جهد الاسلام في التوفيق بين الفرد والجماعة وتوفير الانسجام بينهمـا ·

لنصرف انظارنا الى مظاهر ومجالات أخرى من الحياة الاجتماعية ·

اليك صورة من طريقة التعليم في عصر النبي ولا يخفـى ان تعليـم النبـي لانصاره وتأديبه لهم كان الاداة الاولى لنشر الدعوة ومن اهم عوامل نجاحها · سأسوق حديثين يدلان على درجتين مختلفتين في مستوى التعليم :

« حدث أبو هريرة قال ان النبي دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جـاء فسلـم على النبي صلى الله عليه وسلـم فـرد النبي صلى اللـه عليه وسلـم عليه السلام فقال ارجع فصل فانك لم تصل فصلى ثم جـاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا فقال والذى بعثك بالحق نبيا ما احسن غيره فعلمني فقال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ مـا تيسر معك من القرآن ثم ·· » (8) ·

أرأيت هذا الاسلوب البارع الذى سلكه النبي في ارشاد هذا الرجـل ؟ أليس هذا هو الاسلوب المنهجي المثـالي في التعليـم الذى يقتضى أن يسعى التلميذ ـ بنفسه ـ في الاهتداء الى الصواب ولا يسعفه المعلم الا عند الضرورة القصوى اى حالة العجز ! ؟

أما الحديث الثاني فهو يشير الى مستوى من التعليم ارفع فكأنه يخاطب طبقة أرقى من طبقة هذا الرجل الانف الذكر او كأنه قيل في مرحلة بلغ فيها الذهن الاسلامي شيئا من النضج :

« عن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه اثر السفر،ولا يعرفه منا احد،حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ! فقال

(8) نفس المصدر ج 1 ص 192
(7) نفس المصدر ج 7 ص 62

رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضـان وتحـج البيت ان استطعت اليه سبيلا • قال صدقت • فعجبنا له يسأله ويصدقه • قال : فأخبرنى عن الايمان ! قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره • قال : صدقت • قال : فأخبرنى عن الاحسان ! قال : ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك • قال : فأخبرنى عن الساعة • قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل • قال : ••• » ثم انطلق • فلبثت مليا ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم • قال : فانـه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » (9)

النقطة الهامة فى هذا الحديث وهى بمثابة المفتاح له قوله « انه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » •

فالمقصود هنا بتعليم الدين حسن السؤال عنه (ما الاسلام ؟ ما الايمـان ؟ ما الاحسان ؟ معان متقاربة ولكنها متمايزة) فمما لا شك فيـه ان مستـوى التدريس وقف على مدى انتباه التلاميذ الى المعانى الدقيقة فى العلم وحسـن اثارتهم للمسائل الخفية القيمة •

أمثلة اخرى تندرج فى باب التربية الاجتماعية وتهذيب السلوك وما يريده النبى للمؤمنين من أدب ولباقة وحلم وتسامح إزاء كافة الناس لافضل فى ذلك لرئيس على مرؤوس وللمسلم على غير المسلم : « عن أنس قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دارنا هذه فاستقى فحلبنا له شاة لنا ثم شبته من ماء بئرنا هذه فأعطيته وأبو بكر عن يساره وعمر تجاهه واعرابى عن يمينه • فلما فرغ قال عمر : هذا أبو بكر • فاعطى الاعـرابى فضلـه ، ثم قـال : الأيمنـون الأيمنون الا فيمنوا قال انس : فهى سنة ثلاثا » (10) •

عن ابى هريرة قال : استب رجلان ، رجل من المسلمين ورجل من اليهـود فقال المسلم: والذى اصطفى محمدا عن العالمين • فقال اليهودى: والذى اصطفى موسى على العالمين • فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودى فـذهب اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره وامر المسلم • فدعا النبى صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فاخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تخيرونى على موسى ، فان الناس يصعقون يوم القيامة

(9) متن الاربعين النووية نشر هنرى بيريس ص 16 ــ 17 الجزائر 1950
(10) صحيح البخارى ج 3 ص 202

فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش جانب العرش فلا ادرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى ، او كان ممن استثنى الله » (II) ٠

وهذا نموذج جيد ، قصة مؤثرة فيها تصوير دقيق قوى الايحاء لما كان يقع من صراع بين النزعات الوثنية والمثل الجديدة فى تلك الفترة الانتقالية التى عاشها المسلمون قبل ان « يكمل الله لهم دينهم ويتم عليهم نعمته » وهى ترينا كيف يعالج النبى بحزم وتؤدة رواسب الجاهلية :

جاء فى الحديث : ان عليا قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى شارفا من الخمس يومئذ فلما اردت ان ابتنى بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع يرتحل معى فنأتى باذخر أردت ان أبيعه من الصواغين فاستعين به فى وليمة عرسى فبينا أنا أجمع لشارفى متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار وجمعت حين جمعت ما جمعت فاذا شارفاى قد اجتبت اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم أملك عينى حين رأيت ذلك المنظر منهما قلت من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت فى شرب من الانصار غنته قينة واصحابه فقالت فى غنائها : ألا يا حمز للشرف النواء ٠ فقام حمزة بالسيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما فاخذ من اكبادهما فقال على : فانطلقت حتى ادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثه قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهى الذى لقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لك ؟ قلت : يا رسول الله والله ما رأيت كاليوم قط عدا حمزة على ناقتى فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فارتداه ثم انطلق يمشى واتبعته انا وزيد بن حارثه حتى جاء الباب الذى فيه حمزة فاستأذن فاذنوا له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة محمرة عيناه فنظر حمزة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر الى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر الى سرته ثم صعد النظر فنظر الى وجهه فقال حمزة : وهل انتم الا عبيد لأبى ؟ ! فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقرى وخرج وخرجنا معه » (I2)

(II) نفس المصدر ج 3 ص I58

(I2) ابن حجر العسقلانى فتح البارى ج 7 ص 3 ـ 4 ـ 5 (لقد اغضى النبى على موقف عمه منه حالة السكر ولكنه أغرمه الناقتين فيما بعد ٠)

لقد كان النبى مثال الجد والرصانة ولكنه كان يسيغ الدعابة بل كان يتفكه ويمزح احيانا :

« كان نعيمان بن عمرو أشهر الانصار بالدعابة ، لا يقيل منها أحدا ولا يراه النبى فيتمالك أن يبتسم ٠ وربما قصد النبى ببعض هذه الدعابات لطمعه فى حلمه وعلمه بموقع الفكاهة من نفسه : جاء اعرابى الى رسول الله فدخل المسجد واناخ راحلته بفنائه فقال بعض الصحابة لنعيمان : « لو نحرتها فأكلناها ؟ فانا قد قرمنا الى اللحم ويغرم النبى صلى الله عليه وسلم حقها » فنحرها نعيمان ٠ وخرج الاعرابى فرأى راحلته فصاح : « واعقراه يا محمد ! » فخرج النبى يسأل : « من فعل هذا ؟ » قالوا : « نعيمان » فاتبعه النبى حتى وجده بدار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى فى خندق وجعل عليه الجريد ٠ فأشار اليه رجل ورفع صوته : « ما رأيته يا رسول الله » وهو يشير باصبعه الى حيث هو فأخرجه رسول الله وقد تعفر وجهه بالتراب فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قال : « الذين دلوك على يا رسول الله هم الذين أمرونى ! » فجعل رسول الله يمسح عن وجهه التراب ويضحك ٠ ثم غرم ثمن الراحلة ٠ » (13)
وهذا خبر آخر يؤكد القول بتفتح نفسية النبى وبراءته من الغلظة والزماتة : عن أبى هريرة ٠٠ ان النبى كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية : أن رجلا من اهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له : ألست فيما شئت ؟ قال : بلى ولكنى أحب أن أزرع ٠ قال : فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان امثال الجبال فيقول الله تعالى : دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شىء ٠ فقال الاعرابى : والله لا يجده الا قرشيا او انصاريا فانهم اصحاب زرع وأما نحن فلسنا باصحاب زرع ٠ فضحك النبى صلى الله عليه وسلم » (14)

ولنختم جولتنا عبر قصص الحديث النبوى بهذه الاخبار التى تصور لنا محمدا فى حياته الخاصة بين اهله وذويه تصويرا بارعا حتى كأننا نراه رأى العين : « عن عائشة قالت كان يوم عيد عندى يلعب السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال : « تشتهين ان تنظرى ؟ » فقلت : نعم ٠ فأقامنى وراءه خدى على خده ويقول : دونكم يا بنى أرفدة ! حتى اذا مللت

---

(13) عباس محمود العقاد عبقرية محمد ص 191 (كتاب الهلال)
(14) صحيح البخارى ج 3 ص 143 ٠

قال : « حسبك ؟ » قلت : نعم · قال : فاذهبى » (15) ·

وجاء فى الحديث عن أسامة بن زيد قال : أرسلت ابنـة النبى صلى الله عليه وسلم اليه ان ابنا لى قبض فأتنا فأرسل يقرىء السلام ويقول : ان لله ما أخذ وله مـا أعطى وكل شيء عنـده بأجـل مسمى فلتصبـر ولتحتسب فارسلت اليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ورجـال فرفـع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ونفسه تتقعقع قال : حسبت انه قال كانها شن ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذه رحمـة جعلهـا الله فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » (16) ·

فهذه الاحاديث التى تبرز لنا الجانب البشرى « الارضى » من نفسية الرسول ليست أقل دلالة من الاحاديث السابقة على سر شخصيتـه وحقيقـة مروءتـه وعظمتـه ·

هذا قليل من كثير وهو مع ذلك يدل دلالة واضحة على ما فى قصص الحديث من واقعية خصبة غنية بالتفاصيل الدقيقة والاشارات الدالة الموحية (سواء فى ذلك ما اتصل بالاطار المادى للقصص او بالاشخاص حتى لكأنها لوحات ناصعة الالوان تزخر بالانوار والظلال · وهنا الفرق بين التصوير فى الحديث والتصوير فى القرآن لغلبة أسلوب الرمـز والتجريـد (Stylisation) على قصصـه فالاشخاص فى القرآن أقرب الى النماذج (Types) البشرية والرموز وليست أشخاصا من لحم ودم كما هو الشأن فى القصص النبوى) (17)

---

(15) صحيح البخارى ج 4 ص 47

(16) نفس المصدر ج 2 ص 100

(17) جل قصص القرآن يجرى فى مسرح بين بين ، مشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة · ولا يسعنا الا ان نلاحظ ما فى هذا القصص ـ علـى بداعتـه وروعته ـ من اقتضاب وابهام وانحصار فى مجال الروح · نستثنى قصة واحدة فريدة نوعها هى قصة يوسف التى عرضت للعواطف والغرائـز البشريـة فى أسلوب من التصوير يتميز بالجرأة والاحتشام فى آن معا ويقوم على التنميـح البليغ والايحاء (الابوة المعذبة: يعقوب·الغيرة والحسد: إخوة يوسف·الجنس: امرأة العزيز خاصة · الابن البار والاخ الكريم الصفح : يوسف · الخ ··) ·

اننا نفتقد فى القصص القرآنى دنيا الحس والواقع ـ الواقع اليومى البسيط المألوف ـ ، دنيا الكدح والصراع من اجل حياة جديدة تبنى يوما فيوما وتسجل أشواطها فى عناية بالغة وهو ما توفر فى قصص « الحديث » و « السيرة » ·

وقد تبلغ هذه الواقعية أحيانا منتهى الصراحة والجرأة (انى اشير هنا خاصة الى تلك الاخبار والقصص التى سبق فيها الحديث النبوى الى ما يسمى اليوم بالتربية الجنسية ويظنه الناس من مبتكرات العصر الحديث ٠ فالجنس ، فى الدين الاسلامى ـ خلافا لما هو الشأن فى المسيحية ـ موضوع عناية وتقدير لانه من صميم الدين يضعه فى اطار اجتماعى سليم ويرسم له حدودا لا يتعداها فكما انه لا رهبانية فى الاسلام فكذلك لا اباحية فيه ٠٠)

قلت قد تبلغ هذه الواقعية احيانا منتهى الصراحة والجرأة حتى ليتحرج منها المتزمتون ويظنها بعضهم من الادب المكشوف الذى يغالى فى تسمية الاشياء باسمائها وفى كشف ما ينبغى ستره من الاحوال والمواقف ٠ وهذا خطأ فى الحكم فالعبرة ليست بمادة القصص بل بالغرض الذى يهيمن على تأليف القصة وعلى الاخص بطريقة الاداء ٠

ومن الانصاف ان نقول ان القصص النبوى كثيرا ما يعتمد على اللمحة الدالة فى المواطن الدقيقة المحرجة وهو لا يلجأ الى الصراحة حبا فى الصراحة وتملقا للأحاسيس والغرائز وانما يعمد الى الصراحة ان كان من ورائها فائدة وحكمة ٠

وصفوة القول ان المتصفح للحديث يلمح ـ لو دقق النظر من خلال اخباره ـ شواهد عدة تشير الى حركة دائبة متدرجة نحو حضارة حق ، وسعى جاد الى انسانية اصيلة ٠ ان الحديث النبوى لهو حقا صورة للمرحلة الاولى من مسيرة الاسلام الكبرى وملحمته الخالدة ٠

ب٠ م٠

من الكتب الجديدة

« فى البحث على الأوراق » تأليف : محمد بن عاشور

82 صفحة ـ الثمن : 0،300 د. ت.

نشر الدار التونسية للنشر

يقول كاتب هذه القصة التى فازت فى الموسم الماضى بجائزة بلدية العاصمة : « هذه صياغة فنية لتجربة إنسانية ٠٠ نقدمها بدون تعليق لانها لا تحتاج الى تعليق » ، والقصة فى جملتها دعوة حارة الى الثقة فى النفس ٠٠ والى الايمان بالله ٠ وصلتنا نسخة مهداة من المؤلف ، فله الشكر ٠

ارقص بالجمجمة على الواح الآتي...

شعر : عبد القادر بن شرودة

ـ 1 ـ

مواضيك واحات نخل خصيبه
سنابك خيل حبيبه
ودنيا ـ إذا ضاق بى العصر ـ
تفتح عندى شبابيك مخضلة بالطيوب ، رحيبه
وها أنت ،، يا نبع حبى ،،
تفيضين فى تربة الذاكره
وها أنت يا نخلة الشرق ،
تبنين حولى عريشا وتحتلبين العصور
على شفتى الحائره
وبين ظلال النخيل المديدة فى واحة الذاكره
أضاجع آلهة الشعر
أبعث من ماء صلبى جنينا
فينهض للحرث فى المزرعات الجديبه
لعل الزروع التى استيقظت بعد فى وطنى
تتعانق ساقا فساقا
وقلبا فقلبا
نعود ،،، فيلقى الحبيب حبيبه
وباسمك نقتلع الوعى من واحة الذاكره
ونرفعه راية الحقبة الحاضره
وباسمك ندخل فى رحم السنوات المريبه
لنقتل فيها الجنين المصيبه ،،،

ـ 2 ـ

مواضيك تأشيرة للعبور ،
وكوفية من حرير ،
تقينا برود الكآبه ،

سيف الأمير
وآخر فلك نجت من رحى العاصفه ،،،
أيا غضب الألسن الراعفه
متى تزرعين اللهاة حرابا وشوكا ؟
متى تفلقين بطون البذور
على الشفة الناسفه ؟
متى يا فتاة تمرغ جبهتها فوق صدر العصور ،
متى تأذنين لنا بالمسير
على الجمر ،،، ؟
حتى نجس خلاياك شبرا فشبرا
وندمل أجراحك الناسفه
وما الحب ؟ إن لم تكونى الحبيبه
وإن لم يكن نخلك الشعر المتكدس فوق الصدور الكئيبه
وإن لم يكن صوتك الغزل المتبرعم بين السطور ،
لليلى ، لقيس ،
لآخر طفل محب
وآخر بنت حبيبه
حرمناهما من جواز العبور ..

- 3 -

مواضيك صارت نبوءه
وحرفا جريئا
يراود كل النفوس الجريئه
وحين نحبك صمتا
ونومىء بالعشق ،
لا تحسبى ذاك كل الصبابه
لقد علمونا الكآبه
وقالوا لنا : إن وضع الزهور على جدث الفاتحين خطيئه
أتدرين يا نخلة الشرق
من قال : إن التمور وبيئه ؟
ومن صلب الشيخ رغم احتجاج « المعره »
وقام يرتل أسفار « دنتى » ؟

غدا حين يورق زرع الكتابه
وحين تسيل الزهور المذابه
على آخر الصفحات الوبيئه
ستدرين من قال : إن التموز وبيئه ،،،

ـ 4 ـ

إذا كان ماضيك أكبر منى ،
وحبك أكبر منى
نسجت لك من حروفى قلنسوة
وفساتين مزن ،
ومن ورد حزنى
نشرت على العورة المستباحة أبهى غلاله ،،،
وإن ظل هذا الزمان عدو السلاله
أخضب يديك بحناء شعرى ،
ثلاثون قرنا تمر ،
وألف تمر ،،،
وأبقى وفيا لوقع السنابك ،
حتى إذا دك قبرى ،
إلى أن تفيض السلاله ،،
أقاوم كالتربة العربية فصل التعرى ،
وأخرج من حقبة الاستقاله ،

ـ 5 ـ

وها قد بدأت أمزق ذاكرتى
والمواضى الحبيبة صارت حقيقه
ولاحت على سرة الشمس محمرة كالشقيقه
سأهديك مبسمها قبل وقف التذكر
وفى زورق الراحلين إليك سأبحر
فيا نخلة الشرق ،،،
مدى إلى من السعف المتأود لوحا ،

سأكتب عليه الوثيقه
وأعبـر ،،،
(جنينك يمكث فى البطن قرنا ليكبر
ولا يرتضى كالأجنة تسعة أشهر)
وأعبـر ،،،
وأنتعل الخصب ، أزرع دربى حديقه
(حصادك باق هنا لن يصدر
ووحده يوم القيامه يحشر ٠٠)
وأعبـر ،،،
أحدد فيك امتداد الشعيرات ،
كل الخلايا الرقيقه
(أرى الثلج فى القطب أسمر
وجلد الخليقة أسمر)
وأعبـــر ،،،
(قنابلهم تتدحرج لا تتفجر ٠٠٠)
وحبك مثل الغصون الوريقه
يمد البراعم ، يثمر
وجمجمتى بعد قرن ،
دوال تطوق نهديك ٠٠٠
يا ليتنى أتجسد إذ ذاك طفلا
وأرضع من حلمتيك اللبان دقيقه

ع٠ ش٠

على هامش قصص فاطمة سليم

بقلم : المنجي الشملي

20 جانفي 1973

بعض « ميثاق السفينة ... »

وجدت اليوم ، ضمن بريدي الواصل الى كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مجموعة قصصك الاولى « **نداء المستقبل** » (دار الكتب الشرقية ، تونس ، ديسمبر 1972) . انك غمرتني عطفا وتقديرا ، اذ خصصتني بنسخة شخصية وحرصت على أن تزودي مكتبة أبنائي بنسخة أيضا . وكنت أقرأ نص اهدائك في النسخة التي خصصتني بها ونص خطابك الذي توجهت به الى أبنائي في النسخة التي أصبحت من محفوظات مكتبتهم ، وان القلب ليخفق سعادة واغتباطا وحنينا الى أيام التدريس في معهد اعداد المعلمات .

كيف اعبر لك عن عميق تأثري لهذه العناية اللطيفة وهذه الهدية الثمينة ؟ هذه الحيرة في الظفر بتعبير موافق ليست من العجز نابعة ؛ فلكل فكر لفظ يؤديه ، ولكل شعور كلم يجريه ، ولكل خاطر لغة تؤويه ؛ ولكنها الفكر والمشاعر والخواطر تزدحم متدافعة ، حتى فاض الخاطر بها جميعا ، فكان العجز عن المفاضلة بينها .

في مطلع الستينات كنت تلميذة على مقاعد معهد المعلمات ، قليلة الكلام ، مولعة بالتفكير ، مثابرة على الدرس ، مواظبة على العمل ، والى المستقبل ناظرة . وكنت بحرصك على التحصيل معجبا وباجتهادك منوها ، وكنت أقول : انها ذات عقل كبير ، سيكون لها شأن خطير ...

وما كنت ، يوم احتواني مبنى معهد المعلمات ، « أستاذا كبيرا » ولا « حكيما قديرا » ، انما كنت جادا ، واذا احتملت المزاح فليكون علة للجد ؛ وكنت ثائرا ، في هدوء ، على الذين لا يثقفون الشباب ولكن بالتثقيف يتشاغلون ، فبذلت من الجهد ما أملك وما لا أملك ، وتكلفت من المشقة ما أطيق وما لا أطيق في سبيل من كانوا يجلسون الى للتعلم ، حتى أشارك في

انماء عقولهم ، واذكاء قلوبهم وازكاء نفوسهم ، وفاء « لميثاق السفينة » ٠٠٠ أليس « نداء المستقبل » بعض هذا الحلم يتحقق ؟

ورجائى ان تكونى دائما على تعطش الى درك حقائق الامور وان تكونى أبدا على أهبة الجواب والمستقبل ينادى ٠٠٠ ؛ انه ينادى كل من استعد لالتقاط النداء بعقل سليم وقلب كبير ٠

ولا أرى بأسا ـ وأنا أذكر جزءا من جهدى فى معهد اعداد المعلمات ـ بأن أتمثل ببيت لشوقى من قصيدته « جبل التوباد » فى مسرحية « مجنون ليلى » مع وجود الفارق وتغيير السياق ، وهو :

« قد يهون العمر الا ساعة وتهون الارض الا موضعا »

ـ أنشده قيس المجنون ٠٠٠ ! ـ

* * *

8 فيفرى 1974

الادب جهاد او لا يكون

كانت فرصة لى سعيدة هذه التى تفضلت باتاحتها لى حتى أقرأ نصا لك مخطوطا ٠ وليست قراءة المخطوط « الخاص » كقراءة المطبوع العام : الاولى نسغها جنى برود ، والثانية عين جارية ملك مشاع ٠

كأنك كرهت أن أبقى على طعم ماء العين الجارية ـ إنكان للماء يوما طعم! ـ أعنى كتابتك التى اخترت لها عنوان **« قصة حب »** ، ونشرتها مجلة **« الفكر »** منذ أسبوع (السنة 19 ، العدد 5 ، فيفرى 1974) ؛ فخصصتنى فى اليوم الرابع من فيفرى بكتاب مخطوط لتخففى من عبء كأنه الوسواس ، فيه حظ من حقيقة وفيه وهم كثير ، وفيه صدق فى الاحساس هزنى طربا ؛ فشآقنى شتاء كان قد شفع « لمركبة فضائية » لونها ليل ، عقبه شتاء تسعى فيه مركبة أرضية (لا جبلية ولا بحرية) كالفجر لونها ، تسعى بصاحبها وهو ليس عاتبا على أحد ، ولا لائما لاحد ، وليس فى نفسه موجدة ولا حفيظة ! صاحبها وديع وان بدت منه شدة ، سليم الفؤاد وان بدت منه جفوة ؛ يومه كيومك وكيوم الناس جميعا ، فيه كثير من الجد والجهد والحرص ، وقليل من الدعة والراحة والتفريط ٠ ولم أريد ان أكون كسائر الناس ؟ فلعل الناس

أن يكونوا على غير ما أنا عليه ؛ فلندع الناس وشأنهم ، وكل امرىء فى دربه سائر ...

القصة المنشورة فى « الفكر » شدتنى اليها شدا ، فقرأتها حتى « الصيف الحقيقى » منذ ان « كان الفجر نديا » ، وما بين الفجر والصيف . فاستمتعت حينا ، وضجرت حينا، وفهمت هنا، وغمض على الامر هناك، واستملحت تارة واستبردت تارة ، وقلت : صاحبة القصة على أهبة تحول فى « كتابتها » لعله أن يستبين قريبا ! فهل يستبين ؟ صاحبتها فى حاجة الى ثقافة جديدة دونها جهد جهيد وصراع ! فهل تصارع ؟ صاحبتها فى حاجة الى استقلال لا ترتبط فيه بمن يلومها لانها لم تكتب منذ زمان ، فتتأثر فتبكى فهل ستكون دموعها فى الحوادث غالية ؟ بئس الادب ينبع من اللوم ، وبئس الادب تسقيه الدموع ، **فالادب جهاد أو لا يكون ...**

القصة لا تهدى ،والقصيد لا يهدى ؛ ولكنهم ــ يا للاسف ــ يهدون وبالغموض يستمتعون ، فيرهقون الحروف الدالة ــ عندهم ــ على الاسماء ، ويضنون على القراء بذكر الاسماء ؛ انهم فى غير جد يهزلون .

ان جل أدبنا مازال فى أسفل درك من الرومنطيقية المائعة ، وليست كل رومنطيقية مائعة ! فقد تكون الرومنطيقية نارا موقدة ، تأتى على بالى المقاييس وواهى التقاليد ، وباطل الاقاويل ؛ كذلك ليس كل حب هادما للشخصية فيصبح القلب منه عميدا معنى ! وليس الحب وقفا على الحبيب الاول ! انه قول كذب ولعب ، الا ان يستحيل الانسان صخورا جمادا ، ولن يستحيل ! ولكن هذا يفرض علينا ان نفهم معنى « الزمن » ، فهل نفهم ؟ لست أدرى لماذا أصرح بشىء من عقيدتى الادبية فى هذا المقام ! ولكن تقديرى الصادق لك ، واعجابى الصادق بمثابرتك جعلانى أقول . فليبق هذا بيننا ميدانا مفتوحا ...

وانى لا أجد حرجا فى أن أذكر لك شعرا جديرا بالبقاء ، ولا يضيره أن لا يكون الدهر له راويا أو منشدا :

حين أقبلت والهوى فيك يحبو	كان حبى يغنى ونارى تخبو
قلت لى : بى أسى فهل منك نصح	وبنفسى داء فهل منك طب
جئت تستوصفيننى فى شؤون	ما بها لى يد ولا لك ذنب
قلت ان كان للشرائع رب	مستبد أليس للقلب رب

القوانين سنها العقل في الناس فبين الضمير والقلب حرب
ومضت أشهر وتلك الاحاديث يدب الهوى بها ويرب

ـ نظمه الياس أبو شبكة ـ

هذا شعر ، وصاحبه شاعر !

أليس كذلك ؟

***

2 نوفمبر 1974

الادب الحق يستوجب التاويل ...

وصل الى اليوم بريد غزير فيه رسائل من بلدان مختلفات ، ودعوات الى معارض ثقافية وملتقيات دراسية ، وكتب ونشريات ، والعدد الثانى من مجلة « الفكر » فى سنتها العشرين (نوفمبر 1974) ، فنظرت فيه ثم قرأت من فصوله وقصائده وقصصه ما خلته بالعناية جديراً أو ببعض العناية ، وهمنى منه ، على الخصوص ، قصتك « **سكة نحو الجنون** »

قرأت هذه القصة سرا ثم قرأتها همساً ثم قرأتها جهرا ؛ وفكرت في أمرها ثم قلت فى نفسي: هل سلكت صاحبتها فى «كتابتها» مسلكا جديدا؟ أم هى ما انفكت سائرة فى درب تجربتها الاولى ؟ هل ابتدعت مضمونا جديدا يزاوجه « شكل » جديد حتى تستبين « رسالتها اللغوية » فى « الابلاغ » ؟ أم هى مازالت تنظر فى واقعها المحدود لتشتق منه قصصا قد يتيه فى تأويلها القراء ، فيعجبون بها أو يسأمون منها ، أو يخرجون بالصمت عن الاعجاب والسآمة ، لانهم لم يهتدوا الى وجه يفككون به « الصياغة الكلامية » فضاع عنهم « الدال » و « المدلول » .

يبدو لى ان اول ما يلفت القارىء الدارس لقصتك « اسلوبها » او « صياغتها الكلامية » ؛ ان فيه حرصا على « السياق » ودقة ، وشيئا من التجديد المقصود ؛ « البحر » و « القبس اللاهب » ألبستهما دلالة يدركها القارىء بفضل دقة التصوير ودقه اللغة فى التعبير عن المعانى التى تمارسين ؛ وهذا توفيق يحفظ لك ، فاذكريه .

أما « البناء الداخلي » او « شكل القصة » فهو نابع من مضمونها ؛ انه مضمونها • وهذا المضمون ، ان أتيح لى ان أفهمه او أن أؤوله فأدرك مدلوله ، قديم عندك قديم ؛ فالقضية في جل قصصك هى هى ، والمحاور هى هى ، والطلاسم كذلك هى هى ، و «الكلام» هو هو ! ؛ نعم انك ما زلت ، فى رأيى ، تعبرين عن ذاتك فى حيرتها وشكواها ، ووجدانها ونجواها ، وماضيها الذى يكبلها ، وحاضرها السجين فى عمر ماضيها • كذا تنشأ « **سكة نحو الجنون** » ؛ فمتى تنسف حتى تبنى مكانها « **سكة نحو الوضوح** » •

انك قد تحسنين ممارسة الاسلوب ، وعليك الآن أن تمارسى « الكتابة »؛ وكلا الامرين له معطياته من دون شك ؛ وما أظن الا أن الكتاب والباحثين جميعا يعرفون ذلك • ومهما يكن من شيء فلا بد لك من استصفاء الحساب مع « البناء الداخلى » •

انى أقرأ قصتك هذه ، كما قرأت قصصك المجموعات فى « نداء المستقبل » فلا أجد اتحادا بين « الشكل » والمضمون ؛ أنهما لا يبلغان «الذروة القصوى» فى « الانسجام » ألم ترى أن بطلك وبطلتك ــ ان صح أنهما بطلان ــ كأنما أصابهما صمم ؟ فلا تجاوب بينهما ، ولا تصارع ، ولا انسجام (فى غير المعنى الذى ذكرت عن « القبس اللاهب ») ؛ ان الحوار شبه حوار ، هو سرد لا يوجه القارىء الى ادراك « البلاغ » ؛ ان القارىء يصيبه « الدوار » (فى غير المعنى الذى ذكرت عن « النبتة الضامئة تبعث من جديد ») ، لانه لا يفهم او لانه لا يجد الى التأويل سبيلا، وليس له ان يفهم نصك ــ فى شكله الراهن ــ او أن يجد وجها الى تأويله الا اذا كان أنت ؛ وهيهات له ان يكون •

والعناوين التى ضمنتها فى سياق النص ، أهى ذات جدوى لفهم القصة أو تأويلها ؟ انها تزجية فراغ من الخير أن يبقى فراغا •

« ثمان واربعون ••• » ! عسير على القارىء ان يفهم ، لان «نظام الابلاغ» فى « كتابتك » عسير ••• ؛ جملتك ينقصها « التمييز » بالمعنى النحوى أعنى بالمعنى المنطقى ؛ هل تقصدين ضبط عدد من الناس ؟ ام تحديد سن بعض الناس ؟ أم احصاء مواقيت لا تعلمها الا انت لانك « صبرت الدهر كله وسترهقك ثمان وأربعون ؟ »

لعلى لم أفهم خصائصك الاسلوبية فغمض على بلاغك ؛ والحق أنى لم اهتد الى وسيلة بها أفهم كل ما جاء فى تجربتك هذه • ولكنى أقول مخلصا ان

كثيرا من « التجارب الرائدة » قد يعسر على القارىء العادى ان يفهمها فـى آنها • فخير لتجربتك هذه ان تكون « رائدة » ولا أرى حرجا فى عسر فهمى لها • أقول هذا صادقا فاعلمية ؛ وأنت تعلمين - على كل حال - أنى لا أجد بأسا بالاعتراف بعدم الفهم ، لان ذلك بداية الفهم •

لا شك فى أن الادب الحق يستوجب التأويل • الا ان الادب المطلسم يفرض على قرائه أن يكونوا بالسحر عالمين ولاسراره حافظين • انى أشهد بـأنى قارىء عادى لم يتح له أن يتعلم السحر يوما • ولو كنت « محظوظا » مثل طه حسين لاتاحت لى ظروف نشأتى الاولى فى احدى قرى الساحل - يوم كانت قرية - ان أتعلم شيئا من السحر ، كما « تعلم السحر » صاحب « الايام » فى احدى قرى الصعيد المصرى الاوسط •••

وبعد ، فخير لك الا « تغرقى » حتى لا تضطرى الى « التنفس تحت الماء » ؛ واتركى هذا الغرق للذين يصبون أغانيهم فى آذان المستمعين اليهم ، فـلا يرهفون بها الشمائل ولا يهذبون بها النفوس ••• واستصفى لك مضمونـا جديدا ينبع من «شكل» جديد ؛ فالحياة كل يوم جديدة ، والبيئة ، ونحن•••

ان لك قـدرة على الاستصفـاء
فاطلبيها ، ومواهب فجوديها•

* * *

I5 ديسمبر 1974

أصداء « اهداء » •••

منذ أكثر من أسبوع ، وصلت الى مجموعة قصصك الثانية «**تجديف فـى النيـل** » (دار الكتب الشرقية ، تـونس نوفمبر 1974) ، فلفتتنى - فى اول صفحة من الكتاب - نص الاهداء المخطوط الذى تفضلت به على • ولا حظت ان هذا النص متميز لفظا ومعنى عن معهود الكلام فى نصوص الاهداء ، فـلا أريد أن أشك فى أنه من أعماق القلب صادر ، وخلجـات النفس ، ومنابـع الفكر • انها الوشيجة الروحية تطغى فتصبح واقعا يذكى شوق العقل وهزة النفس وعزة الانسان •

شعرت من خلال ذلك النص - نص الاهداء - بشخصية معدنها صلب لا يذوب ولا يكسر ولا ينفرك ، ونفس حازمة عما قدمت اليها راضية • انـه لفوز يشرفنى فيسلينى ، ويذكرنى فيرضينى ، ويكفينى ؛ بل ان فيه مـا هو فاضل عن الكفاية •

ذكرني اهداؤك هذا باهداء آخر يختلف عه لفظا ومعنى ومقصدا ؛ صاحبته تكتب بالفرنسية ــ لانها فرنسية ــ ، كانت لي رفيقة دراسة عندما كنت طالبا في فرنسا ، وكانت نفسها تطيب لمعاشرتي فاحسن المعاشرة ، وكنا في دروس الادب المقارن نتنازع الرتبة الاولى ، بلا حقد ، فنجتهد معا في المدارسة كانت سريعة الغضب في دون ضغينة ، سريعة الخاطر في غير غموض ، ثابتة الرأى مع شيء من الحيرة ، تميل الى الطمأنينة حينا والى التهمة حينا ، « لا تثق بأحد ولا ترتاب بكل انسان » ؛ وكانت تبثني سريرة نفسها ومعاني فكرها وفيض خاطرها ثم تضبط أمرها ، بعد الاستشارة ، بدون استعارة . وهي اليوم أستاذة في احدى جامعات بلادها ، شاقة طريقها الى المجد الثقافي بالتدريس والبحث العلمي ؛ وهي أديبة قد ركزت بعد قدمها في النتاج الادبي ، وأهدت الى روايتها الاولى ، وروايتها الثانية ، وروايتها الثالثة وعنوانها « صورة الشمس » (Portrait du Soleil)

الا اني ، على الرغم من استحساني لنص اهدائها الاخير ، لم أتأثر عند قراءته تأثري لاهدائك النبيل . فأنت صاحبة قلب كبير وصبر على المر دؤوب ، وادراك لواقعك عجيب ، وثبات في تحدي الصعاب وتحري الحقيقة ، وجد في العمل ومواظبة عليه ، كذا كنت اخالك يوم جلست الي في معهد اعداد المعلمات ، وكذا أراك اليوم ...

وليس لي ، في هذا المقام ، أن أبدي رأيا في مجموعة قصصك « تجديف في النيل » . فسأقرؤها قراءة الدارس لها المتأمل فيها بعد ان قرأتها قراءة المستمتع المتملي . ومن يدري ، لعلنا نعود اليها مرة اخرى ..

الا أني لاحظت أنك حرصت حرصا على « اهداء » كل قصة منها الى «شخص» أو « جماعة » أو « صحيفة » ، وهذا أمر يعنيك أنت دون سواك . أما القراء ــ وأنا واحد منهم ــ فلعلهم أن يقفوا من ذلك مواقف . بيد أن الحرص على « الاهداء » قد يذهب بهم الى تأويلات تضطرهم الى ان يتعلموا «تعبير الرؤيا» ... فان كنت قصدت الى أن تريهم حيارى يتساءلون ، فقد كان لك ما أردت! وان كان الامر على خلاف ذلك ، فأشهد بأني لم أفهم .

« ضمائر ومتاهات » ، هذه هديتك الي ! ان الانسان في شأنه لعجيب ... ولعله من المفيد ان احفف الحديث هنا ٪

« يا ديدون ... كنت مثالا ...
وأبيت الاستجابة لاقزام أحلامهم »

المنجـي الشمـلي

رقصات

شعر : رياض المرزوقي

1 ـ للذة عربات
تحملنى خلف الخطوات
ألمى فى كفى
هلا يكفى
أن عشت مع الأموات ؟

★ ★ ★

رجلاها أغنيتا شوق
فرسا سبق
أو عربدة النغمات
من فرجة ثوب لمع البرق
نهر الفسق
فى غابة نزوات ٠

★ ★ ★

فى قلبى وقع الايقاع
تلتف ذراع
فى موكب كلمات
نهداها قمة ابداع
حرب وصراع ٠٠
فتنام الأبيات

★ ★ ★

2 ـ منى حاذر
إنى قادر
لا تتقدم ٠٠
فأنا فوق الذكرى سائر

★ ★ ★

كنت العابر
فوق الأشواق
حز الاخفاق
فى صدرى كالوحش الكاسر

★ ★ ★

أمس الغابر
ملقى فى أكفان النسيان
غطاه الطوفان ٠٠
طوفان الحاضر ٠

★ ★ ★

3 ـ أبياتى تتفجر كالبركان
فى قلبى غنى الانسان

★ ★ ★

سيقال مراهق ،
ويقال خؤون ومنافق ،
وتنادى أبواق الغربان
وأنا وحدى ٠٠
يكفى شعرى أنى صادق

★ ★ ★

قد سرت على درب الفن
أبليت النعل وأقدامى
غذانى وتغذى منى الهامى
وبلغت الى ما بعد الظن
يا من تقرا ٠٠
إنك منى !

ر٠ م٠
74 ـ 12 ـ 27

يوم في حياة الشرطي عبد الباقي

للكاتب الفلسطيني : أمين السلطي

ذكرت احدى الصحف اليومية تتندر ان سكان احد الاحياء العتيقة افاقوا ذات صباح ليجدوا شرطيا ملقى فوق دكة فى الزقاق ٠٠ وهو يغط فى نوم عميق ٠٠

الليل ساكن ، هواؤه مشبع بندى طلي تكاد تحس طعمه فى انفك ولسانك والسيد عبد الباقى ـ الشرطى ـ يجر رجليه جرا فى هدأة الليل ، وهو بين الحين والاخر يتحامل على نفسه فيدور من حول بركة ماء خلفتها أمطار ذلك الليل ، لكنه فى كثير من الاحيان لا يجد فى ساقيه القوة الكافية ليدور من حول البرك التى امتلأ بها الشارع فيجوس عبرها وهو يلعن المهندس الذى سوى الارض فأساء تسويتها ٠ وما اكثر ما غاصت رجلاه فانساب الماء الى قعر حذائيه ٠٠ واحيانا يرتفع الى طرف بنطاله ٠٠ فلا يأبه له ، اذ ماذا يستطيع ان يفعل وهو لا يملك ان يقفز من فوق كل هذه البرك ٠٠ ولا يملك ان يدور حولها فتطول عليه الطريق ٠٠ وكل همه ان تقصر ولو بضعة امتار ٠

مرت سيارة فتباطأت حين اقتربت منه ٠٠ وتناهت الى مسمع عبد الباقى دقات ساعة من جهاز راديو السيارة ٠٠ وصوت المذيع من احدى محطات الاذاعة العربية يعلن الثانية بعد منتصف الليل ٠٠ وحسبها عبد الباقى ٠٠ الثانية عندهم ٠٠ اى الواحدة عندنا ٠٠ ولم يهتم ان يرفع يده فيضبط ساعته او يتأكد من صحة الوقت ٠٠ ولم ذلك ؟ ما الداعى ؟ ايخاف على ليل مضى او نهار انقضى ؟ العمر كله يمضى تافها رخيصا ٠٠ ولولا هذا الجوع وهذا التعب لما اهتم أكانت الساعة الواحدة ليلا أم الواحدة ظهرا ٠٠ المهم الان ان يصل ٠٠ ليلقى بنفسه على الفراش بكل اثقاله من كسوة وحذاء وجوارب واوحال وماء ٠٠ وهل يملك ان يلقى أثقاله ؟ واعضاؤه تكاد تنحل الواحد عن الاخر ليلقى كل عضو بنفسه على الرصيف ٠٠ لينام ويرتاح ٠٠ تاركا صاحبه لشأنه ٠

وتطول الطريق ٠٠ وتكثر برك الماء والطين كلما اوغل فى الحى العتيق الذى يصل منه الى داره ٠٠ وتثقل عليه قدماه كلما ارتفعتا مليئتين بالماء والوحل ٠٠ ويقرقر الماء كلما حط بهما على الارض ٠٠ ويفيض نابعا من قعرهما ٠٠ وهو

نبع يرفده عصير الجوربين ٠٠ لكن بسيطة ٠٠ بسيطة ٠٠ المهم ان تنتهي الطريق التي يبدو انها لن تنتهي ٠٠ المهم ان أصل البيت ٠٠ غدا لن اذهب للعمل ٠٠ فلتذهب الدنيا خرابا ٠٠ فانا احتاج على الاقل لاسبوع من النوم المتواصل ٠٠ بعد تلك الساعات الرهيبة مع الموت والاحزان والروائح النتنة ٠٠

اكثر من خمس عشرة ساعة وهو فى القرية بين جموع القرويين المفجوعين ٠٠ يحاولون استخراج جثة قتيل من قعر بئر فى القرية ٠٠ خمس عشرة ساعة وعبد الباقى فى صراع مع اهل القرية لحفظ الامن من حول البئر ريثما يخرج رجال الانقاذ من داخل البئر ومعهم جثة القتيل ٠٠ خمس عشرة ساعة والناس من حولهم لا تريم ٠٠ وفيهم أهل القتيل نسوة ورجالا واطفالا ٠٠ والولاويل الحادة العنيفة لا تكاد تخفت فى حناجر قريباته ٠٠ وجموع الرجال المتدافعة تريد ان تنزل البئر لاستعادة الفقيد العزيز ٠٠ وكان على عبد الباقى ولساعات لا يكاد يكون لها نهاية ان يحفظ الامن ويبعد الناس عن فوهة البئر ٠٠ برفق ولين هكذا قال الكوميسار ٠٠ برفق ولين ٠٠ اذ لا يجوز استعمال العنف مع أناس مكلومين محزونين ٠٠ ولكن كيف لهم ان ينصاعوا بالرفق واللين٠٠لا سيما حين اخرجت الجثة بعد سبع ساعات من المحاولة ٠٠ وكان لا بد من اخذها الى المستشفى لتشريحها واكتشاف اسباب الوفاة ٠٠ لكن هيهات ان يسمح اقارب القتيل بذلك ٠٠ اذ لا يمكن بحال ان يقطع ابنهم بسكين الدكتور ٠٠ وكادوا ان يتغلبوا على افراد الشرطة وينتزعوا الجثة من بين ايديهم ٠٠ وعندها كان من اللازم استخدام العنف ٠٠ وتم ذلك ٠٠ وأعمل الشرطة الاحزمة والعصى فى الناس ٠٠ ورد اولئك عليهم بمزيد من الاندفاع ٠٠ وسالت الدماء من الجانبين ٠٠ وكان لا بد من مداواة الجرحى وتضميد الجراح ٠٠ وبالقوة احيانا ٠٠ اذ لم يكن الناس ليهتموا بجراحهم امام فجيعتهم بشاب هو عندهم من اعز شباب القرية ٠٠

وكان لا بد من اجراء الابحاث ٠٠ سيما وقد تناهت الى مسمع رجال الشرطة ان اسم احد الاشخاص يتردد على السنة اهل الفقيد بالتهديد والوعيد ٠٠ ولاحتمال ان يكون لهذا الشخص علاقة بموت الشاب ، كان لا بد من اعتقاله والتحقيق معه ٠٠ واعتقال بعض اهل الميت ممن ذكر اسم هذا الشخص على السنتهم ٠٠ للامساك بطرف الخيط فى القضية كلها ٠٠ وهكذا دخلت الامور بعضها فى بعض ٠٠ وجرت الاحداث بعضها وراء بعض ٠٠ واستمر العمل خمس عشرة ساعة ٠٠ من طلوع فجر امس الى منتصف ليلة اليوم ٠

وكان عبد الباقي وهو في غمرة هذا الكابوس من الذكريات يطب في برك الماء الواحدة بعد الاخرى ٠٠ ولم يكن يبدو له ان الطريق ستنتهي ٠٠ وخيل له انه تاه في ازقة حلزونية ليس لها مدخل ولا مخرج ٠٠ والجوع ٠٠ الجوع يا للانذال٠٠لم يفكر اى من سكان القرية في ارغفة من خبز لاعوان السلطة٠٠ ولم يفكر الكوميسار نفسه بمدهم بالطعام ٠٠ ونط من امامه فأر هاربا من شق باب والدم يغطيه ويفيض عنه تاركا وراءه خيطا احمر طويلا ٠٠ وزكمت انفه رائحة نتنة فتقززت نفسه ٠٠ وعادت به صورة الفأر الى منظر الميت الخارج من البئر متعفنا نتنا ٠٠ فامتلأت خياشيمه بالراحة العفنة مرة اخرى٠٠ولو كان في معدته شيء من طعام لكان قذفه بالرغم منه ٠٠ واطار منظر الفأر والرائحة النتنة كل رغبة له في الاكـل ٠٠ وبقيت كل آمالـه ان يصل البيت ٠٠ وان ينام ٠٠ ينام طويلا ٠٠

ومضى يتخبط في الزقاق ٠٠ في الوحل والماء واكوام القمامة الملقاة امام البيوت٠٠ ويمر ببيوت ينطلق منها نور فيتأوه ٠٠ لو ان واحدا منها بيته٠٠ اذن لنام في لحظات٠٠وتساءل لم لا يطرق بابا ويطلب من اهله ان يؤووه هذه الليلة ٠٠ وبالرغم منه يبتسم ويتناهى الى مسمعه صـوت رضيـع يصـرخ وصوت أمه تهدهده ويهز رأسه تعاطفا مع المسكينـة الساهـرة المحـرومة مثله من النوم ٠٠ الا انها على الاقل في الفراش او لعلها نامت بعض السويعات من ليل او نهار ٠٠ وفي زحمة الخواطر في راسه الثقيل يتناهى الى مسمعه صوت جلبة منبعثة من بعيد ٠٠ صياح رجال ونساء ٠٠ لكنه لا يتبين كنه الجلبة ٠٠ ويزداد الصوت ارتفاعا وحدة كلما تقدم وكأنما هو متجه نحوه بخطى حثيثة ٠

وينبعث من قاع الزقاق نور يضاء امام عيني عبد الباقي فجأة ٠٠ ويرتفع صراخ حاد ٠٠ وينصفق باب بعنف ٠٠ وترتفع اصوات صائحة صارخة ٠٠ وتضاء بيوت اخرى قريبة ٠٠ وتطل رؤوس من النوافذ ٠٠ تنـادى بدورها وتصيـح :

ـ يا سي براهيم ٠٠ يا سي براهيم ٠٠ شبيك يا ولدى ٠٠

ـ يا سي خليفة ٠٠ شنوة آش ثم ٠٠؟

وبلا شعور الشرطي يحث الخطى مندفعا نحو الصوت والانـوار ٠٠ الا ان ساقيه لا تطاوعان ارادته بالاندفاع بالسرعة التي ارادها ٠٠ ويشعره ثقل قدميه بحقيقة حاله ٠٠ وتخاذل كل عضو منه ٠٠ ويخرج رجـل مندفعـا من احـد الابواب ٠٠ الا انه يصفقه خلفه ويقف يسده بجسمه ويصيح باحد الجيران :

ـ يا سي عبد الله ٠٠ ايجا ٠٠ ايجا ٠٠ سد الباب ٠٠ ما تخليش يخرج ٠٠

ويظهر رجال ونساء من بعض الابواب فيهرعون نحو الرجل ٠٠ وفجأة يلمح هذا الشرطى عبد الباقى فيترك بابه ويجرى نحوه صائحا :

ـ ها هو ٠٠ ها هو ٠٠ يا سى البوليس ٠٠ يا سى البوليس ٠٠ ايجا يا خويا ٠٠ ايجا ٠٠ بعثك ربى ٠٠ راجل ٠٠ راجل فى دارى ٠٠ ايجا شده يرحم والديك ٠٠

ويهم عبد الباقى ان يسرع لنجدة الرجل المستغيث به ٠٠ ويندفع خطوات قليلة من غير شعور منه ٠٠ وبفعل العادة ٠٠ الا ان قشرة بطيخ لم يتفطن اليها تكفلت به ٠٠ فانزلقت رجله وتطوح باربعته على الارض بكل مائها ووحلها وقمامتها ٠٠ وندت عنه صيحات كفر وسباب وجهها للخالق والمخلوقات على السواء ٠٠ وتحامل على نفسه فقام ٠٠ يتقاطر الطين والماء من شعره ووجهه وثيابه ٠٠ ويصل اليه الرجل يساعده على الوقوف

ـ يا خويا لا باس عليك ٠٠

فيجيب بحنق والم :

ـ لاباس ٠٠ لاباس ٠٠ فك عنى انت برك ٠٠ يلعن ٠٠ والديك ٠٠

ـ يا خويا سامحنى يرحم والديك ٠٠

ـ انكب لغادى ٠٠ هيا دور وجهك ٠٠

ـ يا خويا ايجا شده ٠٠ راجل لقيته فى دارى ٠٠ ها هى الدار ٠٠

ودار الرجل نحد داره مسرعا ليسد الباب خشية ان يخرج غريمه هاربا ، وهو واثق ان الشرطى سيتبعه٠٠الا ان عبد الباقى يستشعر فى قمة محنته المصيبة التى ستحل به لو انه تبع الرجل وامسك بغريمه ٠٠ ويتصور الموقف فى ومضة ذهن ٠٠ سيمسك بالرجل ٠٠ ويجره لمركز الشرطة وسط الصياح والشد والجذب والتدافع ٠٠ وستبدأ المسيرة الحافلة نحو المركز ٠٠ والمركز على بعد كبير ٠٠ وعلى فرض انه استطاع بالحال الذى هو عليه ان يصل المركز ٠٠ سيكون تحقيق وتسجيل محضر ٠٠ واسم هذا واسم ذاك ٠٠ واين كان وكانت٠٠ولم وكيف٠٠وعد من هذا ما تشاء٠٠الى مطلع الصبح بل الى ما بعد ذلك ٠٠ واين لعبد الباقى كل كذلك ٠٠ هذا ان كانت له القوة الكافية حتى للامساك بالمتهم والوصول به الى المركز ٠٠ وبحركة لا شعورية يستدير عبد الباقى الى الخلف ويستحث خطاه عائدا من حيث اتى ٠٠ الا ان الرجل يصيح مناديا :

– يا سى البوليس ٠٠ يا سى البوليس ٠٠ يا خويا ٠٠

لكن عبد الباقى لا يرد ٠٠ واذا بالرجل يلحق به ٠٠

– يا خويا يرحم والديك ٠٠ الراجل فى دارى ٠٠ هاؤه شديناه ٠
– قلت لك فك عنى ٠٠ ما ليش دعوة ٠٠ لا فيك ولا فى الراجل متاعك ٠٠
– يا خويا ٠٠ كيفيش ٠٠ ؟ انت بوليس ٠٠
– ما نيش بوليس ٠٠
– كيفيش ماكش بوليس ؟٠
– هكة ٠٠ مانيش بوليس ٠٠ تسالنى ؟
وبحركة لا شعورية يوارى قبعته وراء ظهره

– الراجل ٠٠ الراجل ٠٠ فى دارى ٠٠ اعتدى على شرفى ٠٠ وانت تقولى ماكش بوليس ؟

– قلت لك امش انكب لغادى ٠٠ والا كسرت خليقتك ٠٠
– يا خويا يرحم والديك ٠٠ انت بوليس ٠٠ انت الحكومة ٠٠
– قلت لك ما نيش بوليس ٠٠ وما نيش حكومة ٠٠
– كيفيش ؟
– يا خويا اخطانى ٠٠ يرحم والديك ٠٠
– سبحان الله ٠٠ يلزمك تجى ٠٠ انت بوليس ٠٠
– يا سيدى ما نيش بوليس ٠٠ بالله العظيم ما انا بوليس ٠٠
– بالحرام بوليس ٠٠
– بالحرام بالثلاثة ما انا بوليس ٠

– بالحرام بوليس ٠٠ وبالحرام الا ما نشكى بيك ٠٠ يلزمك تجى بالسيف عليك ٠٠

ويحاول الامساك بعبد الباقى ا لاان هذا يدفع بالرجل بعيدا ٠٠ ويسترد فى لحظة شيئا من قوة ٠٠ امام المصيبة الواقعة على راسه ويندفع هاربا من الرجل ٠٠

يجرى بكل قوته المتخاذلة ·· ويتخبط فى هروبه ببرك الماء والطين ·· الا انه الان لا يبالى لا بماء ولا بطين فكل همه الافلات من قبضة الرجل المندفع وراءه صائحـــا :

ـ شد ·· شد ·· يا بوليس ·· يا بوليس ·· الراجل فى دارى ··

ويمضى عبد الباقى مندفعا بكل البقية الباقية من قوتـه ·· وكل همـه ان يفلت من وقع الاقدام التى تجرى وراءه ·· ويستثقل حذاءه وهو يغوص مرة فى برك الماء ومرة فى مغائص الطين ·· ويستجمع شيئا من شجاعة ·· فيقف لحظة ·· ويسند جسمه المنهوك الى جدار ·· ويخلع فردتى حذائه ·· وينطلق من جديد ·· وهو يحاذر ان لا يكون لوقع قدميه الحافيتين الا من الجورب ، اى صوت يشى به ·· ويظل يجرى ·· الى ان يموت صوت الاقدام التى تلاحقه ·· وعندها يسترخى قليلا ·· وينظر حواليه ·· ليكتشف انه دخل ازقة لم يكن دخلها من قبل ·· لكنه يكمل السير ·· مترنحا لاهثا ·· دون ان يعرف اهو يمضى فى اتجاه داره ام قد تاه حيث لا يدرى ··

أ· س·

ننشـر فـى عـددنـا القـادم

« تأثير الحركة الوطنية على تطـور التشريـع التـونسى » (3) لمحمد منصور

★ « العذراء والحب » شعر : الهادى مشكان
★ « صلاة جديدة » شعر : المختار اللغمانى
★ « إرادة الحياة » شعر : محمد الهادى بسباس
★ « حديث بوذا » لحمادى العبيدى
★ « نحن والزمن المنفى » قصة ، بقلم : محمد باردى
★ « كلمات مشوشة فى لحظة احتضار » قصة : محمد حمدون
★ « البوليس على سوق العصر » قصة : عبد الله الحلايفى
★ « بائع الفلبيات » قصة : بوراوى عجينة

خطوط اولى في العشق

شعر : محمد الشابي

لأنـه
مبلل ، بالماء ٠٠
لأنه ، يخفق
تحت الماء ٠٠٠
قلبى انا ، يفيض يا
صديقتى ، فى الصيف ٠٠
والخريف ٠٠٠
والشتاء ٠٠
العشق ، يا
غالية ، مندفع ، فى كل
ما املك من
اشياء ٠٠٠
فتارة ، ينزل فى
منحدر ٠٠ وتارة
يدخل فى الصحراء ٠٠
ومرة ، يقف يا
حبيبتى ٠٠٠ ومرة
يجف فى الهواء ٠٠
الحب ، يا
صديقتى ، يحيطنى ، كما
يحيط الله ،
بالسماء ٠٠٠
يدخلنى ، إلى
دمى ٠٠ مسكونة ،
بالدمع ٠٠٠
والبكاء ٠٠
مشاعرى ٠٠٠

تظل يا
غالية ٠٠ مفتوحة
فى الصبح ٠٠٠
والمساء ٠٠
تدخلها ، قبائل
كثيرة ٠٠٠ من
عرب بدو ٠٠ ومن
نساء ٠٠٠
كل اللواتى ، أقمن
داخلى ٠٠
أثرن فى ،
اعنف اشتهائى ٠٠
بعض الصديقات
بقين داخلى ٠٠٠
سافرن فى
قلبى ٠٠ وفى
دمائى ٠٠٠
تركن فى
مشاعرى ، مواسما ٠٠٠
من الحنين ٠٠
والبكاء ٠٠٠
قلبى انا
أرض ٠٠٠ مناخها من
مطر الحنين ٠٠
والاهواء ٠٠٠

م٠ ش٠

الفكر والتطور البشري

بقلم : نور الدين بن بلقاسم

كلما فكرت فى الوضعية الانسانية من جميع نواحيها الفكرية ، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية ، أحسست بعمق أن الانسان بامكانه أن يكون أحسن ، وأنه بامكانه أن يصل الى ما وراء العرش ويسود الكون ، وان ما وصل اليه هذا الانسان من تقدم وحضارة ما هو الا خطوة ضئيلة مما يمكن أن يصل اليه لو حدب على أوضاعه أكثر ، ولم شتات نفسه وشتات جنسه ، وتسامى اكثر بنشدانه للكمال ٠

الا أننى سرعان ما أدرك أن هناك عوامل كثيرة ترجع الى الرواسب الاجتماعية والنفسية والعقائدية ـ هذه العوامل تحد من سرعة التطور الانسانى ، ان لم أقل تعرقله أحيانا ٠

ذلك أن كثرة المذاهب الاقتصادية المتوزعة فى العالم ، وتعدد الاديان المنتشرة بين الشعوب ، وتنوع النحل والملل على اختلافها فى أرجاء الارض من الاسباب التى تشتت جهود الفكر الانسانى ، وتوسع الشقة باستمرار بين مفاهيم الطوائف المختلفة للحياة والتقدم والحضارة ، واختلاف الناس فى مثل هذه المفاهيم يترك الانسانية تتأرجح بين الحضارة الموغلة فى التقدم والبدائية الموغلة فى القعود والتقصير ٠٠٠ واذا استمرت الانسانية على هذه الحالة فانها لن تسعد كلها ، بل يبقى نصيب منها يعانى الجهل والمرض والانحطاط المادى ٠

والرأى عندى أن الانسانية بامكانها أن تخرج من هذه الوضعية المأسوية اذا ازدادت ايمانا بالفكر ، واتخذت من شرعته طريقا للخلاص من وضعيتها الراهنة ، لان الفكر قوى قوة الحقيقة ، فمهما اعترضته الحواجز فانه يستطيع تحديها والتغلب عليها ، لانه الحقيقة ذاتها التى سعت وتسعى اليها الانسانية ، ولانه الجوهر الباقى الذى تزول دونه كل الاعراض ٠

ولاجل استقرار الفكر الحق على المبادىء الثابتة فى المجتمع والحياة وتشبثه الدائم بالحقيقة فان الانظمة السياسية المهلهلة ذات المصالح الفردية تخشاه ، فتحاول تدجينه ، وتسعى الى اتقاء صولاته باساليب شتى ٠ وبفضل الحياة الفكرية الحية تحدث الحركية فى صلب المجتمع ويحدث التغير والتطور ٠

فماذا يطرأ عن كل تغير جديد فى الخلق الفكرى ؟ وما هو نوع الصراع الذى ينتج عن ذلك ؟ ولماذا يتمسك الناس بالقديم ؟ وهل لصراع الثقافات دخل فى الصراع الفكرى ؟ وماهى العقبات التى تحول دون بلوغ المضامين الفكرية سليمة للناس ؟ وما هو دور الفكر فى العالم الحديث ؟ وكيف يكون الفكر قائدا للانسانية حتى تتطور وتسعد ؟

ان الجواب على هذه الاسئلة الكثيرة يؤدى بنا الى البحث عن مفعول الفكر فى الحياة ، فللفكر مفعول السحر فيها ، وهو الذى يوجهها ويربيها ، ويحاول أن يجعل من فوضاها نظاما ، ومن تشتت الناس فيها مجتمعا يبنى الحضارة ويشيد العمران ، وهو الذى يضفى عليها جدة ، بقلبه للاوضاع القديمة فيها ، فالجديد الذى يخلقه الفكر هو التغيير عينه ، ولن يقع التغير الا بفضل الفكر التقدمى الصادق ٠

الا ان كل تغير فى الحياة الفكرية لا يتم بسهولة ويسر ، بل ان كل تغير يسبب صراعا عظيما بين انصار الفكر التقدمى والمحافظين ، وليس تصورنا لهذا الصراع قائما على أساس غير موضوعى ، فهناك حقائق ثلاث تجعلنا نقر بهذا الصراع :

« أولى هذه الحقائق ترتكز على ما يصحب كل تغير كيفى من صراع بين أطراف هذا التغير ، وهذه الحقيقة مطردة فى الطبيعة والمجتمع والفكر جميعا والتغيرات الكيفية تختلف عن التغيرات الكمية ، فان أية اضافة كمية قد لا تغير من حقيقة العلاقات المحددة وان زادت من حدتها ٠

على حين أن التغير الكيفى وان ارتكز فى طبيعته غالبا على تزايد الاضافات الكمية فانه يشكل انفجارا فى القوى والعلاقات الناتجة عنها » (1)

---

(1) كتاب أصول التفكير النحوى : الدكتور على أبو المكارم ـ منشورات الجامعة الليبية ـ طبعة 1973 م ـ 1393 هـ ـ ص 78 ٠

نستنتج مما سبق ان التغيرات الكمية فى الحياة الفكرية ليس لها أهمية مثل التغيرات الكيفية التى تحدث تحولا جذريا فى مسيرة الفكر ، مما ينتج عند ضعف التواصل بين الفكر فى مرحلة ما ، والمراحل السابقة له ، فتتولد من ثم الصراعات والهزات فى عالم الفكر بفعل هذا التغير الجذرى ، ويحتد الصراع كلما وجدت قوى سياسية أو ظروف اجتماعية تساند أو تساعد طرفا من طرفى الصراع . (2)

والحقيقة الثانية لا تقوم على أساس التصور العلمى للحقائق الانسانية فحسب وانما تستند الى بعض ما ذكرته النصوص التاريخية والتى تؤكد بصورة لا تقبل الشك وجود طوائف من الناقمين والمنكرين سلوك الانظمة القائمة ومنهجها فى الحياة السياسية والاقتصادية (3) مما ينتج عنه وجود نزعات شتى تزيد من حدة الصراع الفكرى والاجتماعى ، ولعل هذا ما يوفر الاتجاهات الفكرية والعقائدية ويسبب تعارضها وتصادمها من أجل بقاء الاصلح منها ، ومن أجل توليد الحركية فى صلب الحياة الاجتماعية نفسها .

والحقيقة الثالثة أن محاولة القوى التقدمية ربط المدلول الفكرى الجديد ومضمونه بالمدلولات الفكرية القديمة ومضامينها (4) تبرهن من ناحية على سلامة التفكير الانسانى وترابطه وامتداده فى أعماق التراث الانسانى ، ولكن من ناحية أخرى هذه العملية تضفى صفة التدرج البطىء على مسيرة الفكر ، وتجعله فى الغالب ملتصقا بالموروث ، فيبحث عنه وينشده أكثر مما ينشد الجديد ويحاول الابداع .

والحقيقة السابقة قد تلقى ضوءا على القوى المعارضة للتطور الانسانى وتقف فى اصرار ضده ، فهى قوى محافظة تعتقد أن الجديد فى الفكر يجب أن يكون فى اطار من الحقائق المعروفة ، وأن هذا الجديد يكون منبتا اذا خرج عن هذا التصور .

وهذه النتيجة تؤدينا الى نتيجة حتمية أخرى وهى أن الاحتفاظ بالقديم والتسليم به لا يترك المجال للفكر الانسانى كى يتطور بالطفرة حسب تعبير داروين أوقل بالقفز مما يجعل كذلك تطور الانسانية بطيئا عبر التاريخ .

والواقع أن التمسك بالقديم لا يعنى ان الناس قد تعودوا فقط أسلوبا من التفكير أو من الحياة والعادات معينا ، ولكن الناس أيضا يخافون من كل

---

(2) ، (3) ، (4) نفس المرجع

جديد طارىء فالجديد فى كل شىء مخيف وغير مستقر فى تصورهم ، بعكس القديم عندهم فانه ثابت وقار ومألوف • أضف الى ذلك ان الانسان فى مختلف مظاهر حياته ، وفى مختلف اطوارها يبحث عن المجهود الادنى حتى فى الفكر • فالجديد يكلفه عناء فى البحث وفى البرهنة عليه ، وفى ايقافه على قدميه أمام العواصف النقدية• أما القديم فلا يكلفه عناء بل هو جاهز وقار، لذلك يلتجىء اليه الناس ويطمئنون له •

ولذلك فانه فى بداية كل حياة فكرية جديدة تظل الغلبة للقديم بحكم استقراره الطويل وبحكم ما يحيط بكل جديد فى بدايته من غموض ، ولكن الجديد فى الفكر الانسانى النافع لمسير الحضارة ما يلبث أن ينتزع النصر من القديم ويمزق عنه رداء القداسة ويكشف ما به من عيوب وأخطاء ، بعد ان يتحول بعض أعلام القديم أو المحافظين الى جزء من التراث ، فيكتسبون ما للتراث من قداسة (5)

وهنا يخف الصراع الفكرى عما كان عليه من قبل ، ليكون هينا فى الاطوار الموالية ، ولكن الفكر فى طوره الجديد يبقى حينا من الدهر بعيدا عن رياح النقد الهوج ، وذلك لان فى مضامين هذا الفكر ما فى ذات الاجيال المعاصرة له من أهداف ورؤى ومطامح ، فترضى عنه وتسعد به وتناصره وتشد أزره ، ولكن مع مرور الزمن تصبح الحقائق الفكرية التى سلم بها الناس فى طور تجديده محل شك ونقد عنيف عند أجيال جديدة لاحقة ، لها أهداف جديدة ورؤيا للحياة جديدة فيثور بعض هذه الاجيال على المضامين الفكرية المتعارفة • وهكذا يصبح كما قال ابن قتيبة « **كل قديم فى عصره جديد** » ، وأضيف قائلا : وكل جديد يصير فى فترة ما من فترات التاريخ قديما• لكن رغم هذا فان الفكر يحافظ على مسيرة التطور فى خط تصاعدى حتى يصل الى الحقيقة التى يسعى اليها على الدوام ، والتزام الفكر الانسانى بخط الحقيقة وثباته فى تطوره يعود الى شىء هام هو ان القديم فى كل شىء ليس ما يراه الناس قديما ، انما القديم هو ما لا ينفع الحياة ولا يعينها على التطور ، والجديد هو الذى ينفعها ويطورها • واذن تكون على هذا الاساس أقوال أقدم المفكرين جديدة باستمرار لانها تنفع الناس باستمرار ، وتكون أقوال وأعمال بعض المعاصرين قديمة قدم التاريخ لانهما زبد ولا ماء •••

---

(5) أصول النحو العربى : أبو المكارم ــ ص 81

ـ صراع الثقافات :

ومما يزيد في حدة الصراعات الفكرية اختلاف الثقافات وتعددها ، وليس أدل على ذلك مما حدث في عهد الدولة العباسية ، فقد أدى ازدهار الترجمة لمختلف العلوم الى خلق : « اجيال جديدة من المثقفين بالثقافات غير العربية ٠ الملمين بالثقافة اليونانية على وجه الخصوص ، والمحيطين بالفلسفة والمنطق الارسطي على نحو أخص ، وقد قوبلت هذه الاجيال من العلماء بمقاومة شديدة من المفكرين ذوى الثقافة الواحدة (6) وقد أدى ذلك بأهل السنة المتشددين الى أن لا يطمئنوا الى هؤلاء الذين قيل في أحدهم :

فارقت علم الشافعي ومالك وشرعت في الاسلام رأى دقلس (7)

فأهل السنة من المحافظين في الدين واللغة يخشون أن يضيع منهم النفوذ الادبي والديني فيضيع بذلك مركزهم الاجتماعي بعد أن حافظوا على هذا المركز منذ العصر الاول للاسلام ، فقد شعر هؤلاء بأن مالهم من مفاهيم تقليدية وآراء سلفية لا تستطيع الوقوف أمام هذا الفكر الجديد الزاحف الذى يتخذ المنطق سلاحا ، ويتخذ المجادلات الفلسفية سبيلا الى معرفة حقائق الدين لذلك فالسنة لم تربدا من مهاجمة هؤلاء ، ومهاجمة هذه الصناعة الجديدة التى يسمونها فلسفة : « ولو أن هذا المعجب بنفسه ، الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر ، لاحياه الله بنور الهدى ، وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب ، وفي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها ، فنصب لذلك وعاداه ، وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولامثاله المسلمون ، وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا مسمى » (8) ٠

فها هنا المحافظون من أهل السنة لا يتورعون عن اتهام أصحاب الفكر الجديد بالكسل وعدم القدرة على الاطلاع الواسع على ما للعرب من علوم ، وعدم الاناة والصبر على النظر في علم الكتاب وأخبار النبيء ، فلهذا الكسل في رأى أهل السنة التجأ العلماء الى الفلسفة لانها أسهل مأخذا وأقل مشقة وأروض في الركوب من علوم العرب الاخرى ٠ ومرد هذه المسألة يعود الى

---

(6) أصول التفكير النحوى لابى المكارم ـ ص 183 ٠

(7) أنظر نفس المرجع ـ ص 184 ٠

(8) آنظر أدب الكاتب / 3 ٠

دفاع عن الكيان الذاتى ، وعن الثقافة الشخصيـة التى أصبحت غيـر ذات جدوى أمام تعدد الثقافات وزحف الفكر بمضامينه الجديدة مع تركز الحضارة ورسوخها·ولكن رفض اهل السنة لهذه الثقافات الجديدة ووثوقهم ازاءها موقف المناهض لم يحل مشكلتهم التى هى دفاعية بحتة ، فلم يروا بدا : « من ان يبنوا رفضهم لها على أسس علمية مقنعة ، وليس ابتداء من مشاعر عاطفية لا سبيل معها الى الاقناع » (9) ·

وموقفهم هذا ناتج عن شعورهم بالضعف ازاء هذا الزحف العظيم ـ الذى لا مرد له ـ من الثقافات الأصيلة من يونـانية وفارسيـة ، فأقتنعـوا من ثم بمعرفة هذه الثقافات التى يناهضونها كى يستطيعوا الدفـاع عن أنفسهم ، ومن ثم كذلك وجدت هذه الثقافات الجديدة سبيلها الى العلوم العربية الخالصة والعلوم الاسلامية ، كما وجدت سبيلها الى ما يتصـل بالعقيـدة وأسسهـا وأصولها وأحكامها بصفة خاصة (١٥) ·

وهكذا انتصر الفكر الجديد على الفكر المحافـظ ، بـل سلـم المحافظـون أنفسهم بضرورة معرفة التيارات الفكرية الجديدة حتى تكون حججهم مبنية على البرهان العلمى والمعرفة المباشرة للتيارات التى يناهضونها ·

ومما سبق نستنتج أن الرافضين لجديد الفكر أو لجديد الحضارة يكونون فى فترة ما من فترات انتقال الحضارة نفسها مجبورين عـلى اعتناق هـذا الجديد الذى رفضوه، لان فى اعتناقهم له دفاعا عن وجودهم واقرارا بشرعيتهم فى الحياة ، ويكون حالهم عكـس ذلك فى حالة وقـوفهم مـوقف الرافضـة ·

وهذه النتيجة الاخيرة تجرنا الى نتيجة ثانية وهى أن التطـور الفكـرى خاصة او التطور البشرى عامة مهما وقفت أمامه العوائق وحالت دونه ودون المسير لغايته ، فانه يكتسح تلك الحواجز ويرمى بها على هامـش الطـريـق ليواصل سيره الى مصب الانسانية العظيم ـ ذلك المصب الذى لا يتجمع فيه الا ما فجرته العزائم الصادقة والافكار النيرة المخلصة ··· وسـر القـوة فى تقدم الفكر والحضارة يرجع الى أن الزمن لا يعود الى الوراء ، وأن التاريخ لا يعيد نفسه ، وأن الذى يشده النظر الى الخلف لا يجد الوقت كى يلتحق بالقافلة ··· فطبيعة الحياة اذن تفرض التطور فى خط ايجابى ، بالاضافة الى ان الفكر حقيقة ، والحقيقة مهما أحاطت بها سحب الاباطيل والزيف لا بد أن تشرق يوما على العالم ، وتنقذ الناس من ليل العبودية وغفوات الانحطاط

(9) (١٥) انظر أصول التفكير النحوى ـ أبو المكارم ـ ص 184

جناية اللغة على الفكر والتطور :

اللغة هى الوعاء الذى يحمل عصارة الفكر الانسانى ، ولكى نعرف علاقة اللغة بالتطور الفكرى والحضارة لا بد أن نعرف أن الانسان قد مر فى حياته اللغوية بأطوار عديدة ، فكان الصوت الترجمان الاول للانسان البدائى ، اذ أنه لم يكتشف اللغة بعد ، فكان يعبر عن شؤونه تعبيرا انفعاليا بأصوات مختلفة فى النغمية والطبقات الصوتية ، وذلك عين ما يعبر به الحيوان عن انفعاله تقريبا فأنت عندما تسمع كلبا ينبح تعرف أن هناك غريبا قادما ، وعندما تسمعه يعوى تعرف أنه قد ضربه طفل أو مار فى الطريق، وقد استعان الانسان مع الصوت بالاشارة ، وقد انتقل فى فترة ما من فترات التاريخ من طور التعبير الانفعالى الى طور الانطباعات الهادئة والعواطف المعتدلة التى هى أساس التعبير بالملفوظ .

فاللغة علامات لها دلالات معينة ومصطلح عليها وتختلف هذه العلامات من شعب الى آخر مما أدى الى أن تكون لكل شعب لغته ، وبالتالى فقد كثرت اللغات وتعددت مما جعل التلاقح الفكرى عسيرا فى كثير من الاحيان بين الشعوب ... وذلك لان هذا التلاقح يتطلب الوعى الحضارى وسيادة العلم على الامية والنظرة الى العالم بفكر اوسع من البيئة الضيقة ، وهذه العوامل لا تتاح للانسانية دائما ، لانها تنعدم فى فترات الانحطاط والتقهقر حيث تسود العصبية والمحلية وتزدهر الانانية .

فالتشتت اللغوى مع عدم السعى الى معرفة ما عند الشعوب الاخرى من نير الفكر ، يسبب تأخرا فى التطور البشرى ، فباعتبار ان الفكر هو القائد لمركبة الانسانية فانه متى انحط وهزل فان التطور يتوقف ، والحضارة تشل وتصبح البدع معجزات ويسود الوهم ، وتنتصر الخرافة .

والحقيقة أن عقبة تعدد اللغات وتشتتها على صعوبتها يمكن تجاوزها ، الا ان هناك عقبة اخرى اكثر تعقيدا على بساطتها وهى عدم التثبت والتروى من دلالة العلامات اللغوية عند المتكلم وعند السامع مما يسبب الخطأ فى فهم المقصود من الكلام ، مما ينتج عنه تأويل خاطىء وسوء فهم عند رجال الفكر بل يحدث سوء الفهم هذا حتى عند رجال السياسة فيجر ذلك أحيانا الى الحروب وخراب العمران .

فهذه الآلة المعقدة والتى اصطلحنا على تسميتها باللغة لابد من التثبت منها ومن مدلولاتها حتى لا تنقلب سلاحا ضد تطور الفكر البشرى وتكون أداة

للتنقيص من قدرات الانسان ·

كذلك الاعتقاد السائد : « بأن اللغة قد أنزلت على الناس عن طريق معجزة ، أو أنها شيء خلقه خلقا صناعيا » (II)

هذا الاعتقاد جعل اللغة لا ترتبط بالحياة ، وبالتالي جعلها لا تنمو مع حاجيات الانسان ، لان هذا الاعتقاد جعل اللغة مجموعة من القوانين الحتمية القارة في كل زمان ومكان · ولم يعرف أصحاب هذا الاعتقاد بأن اللغة قوانين صوتية ونحوية وصرفية تتطور بتطور حاجيات الانسان الحياتية ، وبالتالي تتطور بتطور حضارته فان صارت قارة فانها تجمد ، ولارتباط اللغة بالفكر فان الفكر يجمد مثلها ويحدث العقم وتسود الجهالة ، فـ :« ـمن الباطل أن تعتبر اللغة كائنا مثاليا يسير في تطوره مستقلا عن بنى الانسان متجها نحو غاياته الخاصة » (I2) ولا شك أن هذا سبب ومازال يسبب تحجرا في العقل البشري ، وسبب خاصة تحجرا في عقليتنا العربية لتشبث الكثيرين منا بالاعتقاد المذكور ··· بل تحجر اللغة خطره يتعدى ما ذكرنا ، فيسبب التحجر النفسي والاجتماعي ، باعتبار أن : « اللغة فعل فيسيولوجي من حيث أنها تدفع عددا من أعضاء الجسم الانساني الى العمل ، وهي فعل نفساني من حيث أنها تستلزم نشاطا اراديا للعقل ، وهي فعل اجتماعي من حيث انها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان » : (I3)

فلاتصال اللغة بالعقل وجب تطوير اللغة مع الانسان لانها كائن حي يستمد قوته ودوامه من الحياة ذاتها ، واعتبار اللغة في غير المفهوم الاصطلاحي يشل الفكر البشري ويخل بالتطور ·

- الفكر بين الطوبائية واللغة الانفعالية :

وبالاضافة الى ما سبق فان الحياة الاجتماعية بما تهيؤه للفرد من ظروف خاصة توجه تفكير الفرد وجهة معينة ، من شأنها أن تستعمل اللغة استعمالا

(II) كتاب اللغة للاستاذ ڤندريس ـ ص 3 ـ تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص نشر مكتبة الانجلو مصرية ·

(I2) نفس المرجع ص 433

(I3) ص (هـ) مقدمة المرجع المذكور آنفا ·

ضيقا يتصل اتصالا متينا بالحياة الانفعالية للفرد مما لا يساعد على التطور وبالتالى لا يساعد العقل على التدرج للكمال ٠

وهناك شيء آخر وهو تقيدنا فى حياتنا الاجتماعية وحياتنا العقلية بحياة الآخرين ومقاييسهم ، ان هذا التقيد يقوم مقام الرقابة علينا فى ميدان الفكر والمجتمع ، ويحدد أهدافنا ، ويوجه مشاريعنا ، فمن أسباب انعدام التطور الفكرى : أن « السلطة الاجتماعية التى تقوم مقام رقابة الواقع الخارجى بتأسيسها للتفكير تمثل العقل ان قليلا وان كثيرا ، وبعد أن يتحرر العقل ويشتد فى وقت ما يظل زمنا يحتفظ بدرجة مسرفة من الثقة فى بعض الاسس الخداعة وفى سراب الالفاظ » (14)

ان هذا الالتصاق بالمحلية يجعل الفكر يلتصق بالاوهام ويبتعد عن الحقائق الواقعة فى الحياة ، وبالتالى يجعل العقل لا يستعمل اللغة استعمالا مجديا ، ذلك أن : « المثل الاعلى فى كل صورة يتولد من اللغة ، ولكن هناك من المثل العليا ما هو فارغ أجوف » (15) فتوهم المثل الجوفاء الانسان بحقائق يخالها ممكنة الوقوع ، وأهداف يحسبها ممكنة التحقيق ، ولكنها كثيرا ما تكون طوبائية لا يمكن تحقيقها ولا يمكن ايجادها فيسبب عدم الوصول اليها الفشل والانهيار ، وبالتالى يولد الخيبة فى مسيرة الفرد ومسيرة الجماعة ٠٠٠ ان الابتعاد عن المحلية والاوهام التى يخلقها محيطنا الاجتماعى يجعل المرء ملتزما بالحقيقة الواقعة ، ويجعله مسيطرا على هذه الاداة الفعالة والتى نسميها « **لغة** » ٠ واذا سلمنا مع الاستاذ ڤندريس « بأنه يوجد من اللغات بقدر ما يوجد من الافراد » فاننا نستنتج بان لكل فرد لغته ، ونستنتج كذلك بان للجماعة لغتها التى لا تشبه اللغة الفردية ، والالتزام بالحقائق والابتعاد عن الاوهام يجعلان الفرد امام حقيقة لا مفر له من الوقوف امامها وهى التخلى عن لغته الفردية والالتزام بلغة الجماعة التى هى عبارة عن اللغة التأليفية الانتقائية لما هو صالح من لغات الافراد ، ومفهوم لغة الجماعة هنا عندى ليس ما ننطق به من ملفوظ انما هو مجموعة القرارات التى تتخذ لبناء مصير ما لامة ما فى عصر ما ٠ ان هذه اللغة هى الاساس الاول لبناء مصير المجتمع كما أن اللغة الملفوظة هى الاساس الاول فى التعامل بين الناس ، وكثيرا ما يتخلى الناس عن لغة الجماعة للرجوع الى

(14) نفس المرجع ص 16 ٠
(15) نفس المرجع السابق ص 16

لغاتهم الفردية الملفوظة منها وغير الملفوظة والتى تتصف بالانفعالية لالتصاقها بالبدائية والمحلية ... فهذه اللغة لا تحل مشاكل المجتمع ، ولا تساعد الفكر على التطور ، لانها ليست موضوعية ... ولانها كثيرا ما يعبر عنها الفعل العنيف ، وليس ادل على ذلك من الحروب التى قامت وتقوم خلال التاريخ البعيد والقريب والتى كان كثير منها نتيجة لقرارات فردية يقوم بها دكتاتور مطلق السلطة ، له لغة بدائية تتمثل سلوكا فى العنف . فلا يمكن ان نقول أن قرارات (هتلر) او (موسليني) فى الحرب العالمية الثانية هى القرارات الشعب الالمانى او الشعب الايطالى ، فلغة الجماعة اللفظية او السلوكية تختلف أساسا عن لغة الافراد من حيث المنهج والمسلك والنتائج .

ـ دور الفكر فى العالم الحديث :

ان ما طرأ على العالم إبان الحربين العالميتين من خوف وشفقة على المصير وتهيب من العلم الحديث ، قد ولد فواجع فى اعماق الانسانية الحديثة ، وأنتج مشاكل جمة ما زالت آثارها تتعاظم كل يوم (16) ونتيجة للآلام التى سببتها الحربان العالميتان فقد الانسان الثقة فى العلم بعد أن كان ابان المكتشفات والمخترعات الاولى يرى فيه المنقذ الوحيد للخلاص ولبناء الحضارة ، ولعل انعدام الثقة عند البعض فى قدرات العلم يعود الى الازمة النفسية التى يعانيها الانسان ذاته من جراء نتائج هذ العلم ... فلقد هددت أسمى القيم الانسانية بالانحدار ... وصرخت القيم الروحية تطلب النجدة من رجال الدين ورجال الاصلاح وعلماء الاجتماع ، وأوجد هذا العلم الآلة التى تحكمت فى الانسان وتتحكم ، فبدلت حياته من الانسياب فى الاحلام الهادئة اللذيذة ، بحياة كلها اصطدام بواقع متحجر يتمثل فى الروتين الكريه ، والجرى بلا هوادة لتوفير حاجيات يتطلبها العيش المتحضر فى قرن متحضر ، ولكن الانسان غالبا ما لايصل الى توفير تلك الحاجيات لارتفاع التكاليف وغلاء العيش وكثرة الولادات وتعدد الازمات الاقتصادية ، فيضاعف الفرد من الجريان واللهاث وراء رغائب كثيرا ما يخيب أو يحترق قبل تحقيقها . فيصطدم بذلك الطموح على حجر الواقع وينهار الفرد ، ويضيع عن الاسرة ، والاسرة تنحل وتضيع عن المجتمع وتشتد من

(16) انظر مقدمة كتاب الفكر الاسلامى بين الامس واليوم لمحجوب بن ميلاد ـ ط ـ الشركة التونسية للتوزيع .

ثم أزمة الفكر الحديث ، وتتضخم مشكلاته ٠٠٠ ان الفكر الحديث الخادم لمصالح الانسانية هو الكفيل باخراج مجتمعنا المعاصر من هذا المزق الذى يتخبط فيه ٠ ان رسالة الفكر اليوم تتمثل فى بث الثقة بالنفس والطمأنينة على المصير بين أولئك الذين لا ينظرون الى الحياة الا من جانبها الاسود ٠ فيقيمون الدنيا ويقعدونها وينعقون ويبكون اذا ما هبت على الدنيا رياح عاتية عابرة ٠ فهم يريدون أن يسير مركب الانسانية فى خضم الحياة دون أن تزعزعه العواصف الهوج ، ودون أن تهدده الحيتان الكبيرة بالابتلاع وهم بموقفهم هذا يبدون ــ الى جانب تشاؤمهم ــ مثاليين لانهم يحسبون التطور فى الاستقرار ، ولا يدرون ان الاستقرار أحيانا يؤول الى جمود وتحجر ، ويحسبون أن الشر كل الشر فى هذه الزعازع الهوجاء التى تهب على العالم من حين الى حين والواقع ان الدفع الحضارى الكبير هو نتيجة صفعات عنيفة يتلقاها العالم على خديه من وقت الى وقت فيستفيق بذلك الفكر من كمونه ويتحقق التطور وتزدهر الحضارة ، وليس أدل على ذلك من صدمة نابليون لاوربا ، وصفعة الحربين العالميتين لعالمنا المعاصر ، فاستفاق بفضلهما الناس ، ونفضوا عنهم غبار التقاليد وأضغاث القرون الوسطى ، وحققوا أشواطا فى التقدم ٠٠٠ وليس معنى هذا أن الحروب محبذة عندى انما فى رأيى كل شيء فيه جانب الخير وجانب الشر ، وأن الجانب المشرق والمضيء متلازمان فى الحياة ٠

فعلى الفكر اليوم أن يقنع الطوبائيين بالابتعاد عن المثالية الجوفاء ، وان يلتزم المرء بالواقع ــ واقع الحياة النابض ٠٠٠ ان الفكر بهذا يكون قد قام بثورة رصينة تكون هى الطريق الاوحد لارجاع كرامة الانسان المفقودة ٠ تلك الكرامة التى داستها العبودية ومازالت تدوسها ٠

فالفكر الحديث الثائر بصدق على العنصرية ، الزاحف بدون توقف على أوكار الرجعية وجحور الانهزامية ، المتخذ من الحقيقة شرعة ، ومن سعادة الانسان غاية ــ ان هذا الفكر هو الكفيل باخراج المجتمع الحديث من القلق والضياع والحيرة ، هذه العناصر التى من شأنها أن تزج بالفكر نفسه فى اللامبالاة وانعدام الجدوى ٠

ــ الفكر الرائد والفكر الصدى :

ان الفرق بين الفكر الرائد والفكر الصدى شاسع وكبير ٠ فالفكر الصدى

هو الذى يعلق على ما يقع من احداث عى المجتمع الانسانى فيصفها ويحاول أن يتعرف أسبابها ومراميها لا غير، اما الفكر الرائد فهو الذى يخلق الاحداث ويثيرها ويقودها ويوصلها الى النتائج التى يبتغيها لانه يرغب فى ايجاد حركية فى المجتمع ، اذ بدونها لا يتحقق تقدم الانسانية ٠

فالفكر الصدى هو الذى يتبع الاحداث من خلق لمعرفة طبيعتها لا غير ٠

أما الفكر الرائد هو الذى يوجد هذه الاحداث من المجتمع ولاجل المجتمع فيؤ قلمها مع مناخه ولفائدته ٠

الفكر الصدى يعلق على زحف الشعوب للتقدم ٠ أما الفكر الرائد فهو الذى يقود مسيرات الشعوب فى المسالك الوعرة ليفضى بها فى النهاية الى هذا التقدم ٠٠٠

فلكى تسعد الانسانية لا بد ان يكون الفكر رائدا للحياة لا صدى لها ٠ وأستاذها الذى يؤثر فيها لا حيوانها المدجن الاليف ٠

وبذلك يستطيع الفكر أن يجنب الانسانية المزالق الخطيرة ، ويجنبها السير فى المسالك المجهولة ٠ فلا بد من الحرص على الفكر الرائد ، لخلق انسانية رائدة ، ولن تكون الانسانية رائدة الا بالقضاء على هذا التناقض الكبير الذى تعيشه فى العصر الحديث ٠ ذلك أنه فى يوم الناس هذا قد بلغ جانب من الانسانية حضارة راقية تصل الى حد التبذير والبذخ ، وجانب منها يعيش الحرمان ويمر بتجربة الجوع المضنية ، فتنهشه الامراض وتؤرقه الحاجة وتتنازعه الآفات والكوارث ٠

القسم الاول من الانسانية انقطعت صلته أو كادت بعاداته وتقاليده ، واكتسب عادات اجتماعية وفكرية جديدة زادت فى توسيع الشقة بينه وبين القسم الثانى الذى مازال غارقا فى عادات بالية لا نسبة بينها وبين الحضارة العصرية ، كما أن الفقر ما زال يتحكم فيه ، والخصاصة تسوده ٠ وهذا البون الشاسع بين القسمين جعل الجمع الاول فى أعلى سلم الانسانية حضارة وفكرا ، وجعل الجمع الثانى فى أسفله ٠ اذ مازالت الجهالة تشده الى أرضية بدائية ، والعادات تبعده عن مناخ حضارة القرن العشرين ٠

ولكن ينزاح هذا البون الشاسع بين شطرى الانسانية لابد للفكر الرصين أن يتدخل لفض أزمات الاقتصاد فى بقاع كثيرة من أرضنا ، حتى تنتهى المجاعات وتخف الامراض ويقضى على التطاحن وتتوقف المهزلة الانسانية ·

ولا بد للفكر الرصين كذلك أن يتدخل لتقوم الشعوب بحملة ضد العقد والرواسب التى مازالت تنخر المجتمع الانسانى وتحد من اندفاعه للتقدم · ولا بد للتربية الحرة ــ التى لا تخضع للتدجين ــ أن تقوم بدورها فى هذا المجال · فليس أحد أقدر على تحرير الشعوب من مخلفاتها مثل رجال الفكر الصادقين ، وليس لاحد فاعلية فى تغيير عقليات الشعوب مثل علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الانثروبولوجيا ، الذين يستطيعون بواسطة دراسات مركزة الكشف عن الاسباب التى تركت الانسان فى كثير من بقاع العالم يشكو التخلف الفادح المشين ، ويستطيعون عندئذ ايجاد العلاج النافع على ضوء تلك الدراسات ·

ان دور الفكر الحديث فى عالم الانسانية الحديثة هو تصفية الحساب مع شؤونها الروحية والفنية والادبية والتربوية والسياسية حتى يميز الانسان الحديث بين الصالح والطالح فيما هو قديم ، ليحافظ على الاول وينميه ، ويقبر الثانى بلا رجعة اليه (17) ·

ان الانسانية اليوم تعيش بلبلة فكرية واجتماعية ، لانها وجدت نفسها فجأة ــ بعد عصور طويلة من الانحطاط ــ على أبواب حضارة راقية تخالف فى مضمونها كل الحضارات السابقة لها · وتعيش أزمة روحية لان هذه الحضارة العظيمة الراقية قد أوجدت أخلاقا ومفاهيم مستحدثة زعزعت كل القيم البالية والاخلاق الموروثة التى مازال جزء من المجتمع المثالى يشد عليها بالنواجذ ··· فنشأت من ثم الازمة النفسية فى هذا المجتمع الحديث ــ هذه الازمة التى تركت العالم يتأرجح بين قديم مورث لا يمكن ان ينفع فى التقدم ، وبين جديد مشط فى جدته مما جعل أصحاب المجتمع المثالى يرفضونه ويقفون ضده · فلا شك أن دور الفكر يتضح جليا فى هذا المجال ــ دوره هو حل أزمة المجتمع الحديث ، وبالتالى الاخذ بيد الانسانية كى تستقيم حياتها ، وتتحرر من عقدها وعللها ، وتأخذ الحياة بروح وثابة وفكر لا تسيطر عليه الخرافات ، ولا أوهام الاباطيل ·

---

(17) انظر تحريك السواكن لمحجوب بن ميلاد ، ص 16 ·

الكشف .. الكشف !

إلى كل الأصابع التى تمتد عندما أمر

شعر : محمد أحمد القابسى

أيها العشق المنغرز فى عيون الحبيبه
أزهر على حافة الجرح دمعا :
هذا الزمن فجيعه !

★ ★ ★

هو الوجه مختوم بخاتم الشرطة فوق الشفاه
هو الساهم فوق لظى التهم
لا شىء فيه من ضراوة الحلم
وشهوة البدء ،
هو المنتهى طالع من الجرح
وكلكم أشباه ...!

★ ★ ★

واقف على أبوابك يا « سنتياڤو »
أنتظر الحرس أن يفتحوا ،
أنتظر لو غابوا ...
« سنتياڤو »
يقال إننى بعت وجهى
وفى مدن البيع والشراء
لبسته حذاء ؛
وإننى أغرقت المسافات فيه
وأسقطت من شرفاته عواسج الانتماء .
« سنتياڤو »

تحملنى نوافذك المشرعه
يطل من شفتيك الوهج الأطفال قصائد الأضواء
يهجر اللاشرف ، الهمج ...
يكبر الرسم على الأبواب
يدركنى فى الليل وبعد الليل
يتأبطنى فى الحضور
يكاتبنى فى الغياب
....
ويقال إنى بعتك
ولبستك حذاء (!)
أيها الراحل
فى الفقـر
فى الثلـج
فى « الا »

* * *

عاشق يا ذات الظفائر المحمومة بالصيف والشتاء
ينفر من جسدى العشق أصدافا ومحار ،
ينفر المستباح الممنوع
التابع المتبوع
يكبر كورد الدم المـز
يتوهـج نهـار
عـاشق ...
فمن يقرأ فى الخلايا الزرق أبجدية العشق
ومن يطهرنى يا غجريه بمخاريط النسغ والنار ؟
وحين أذكرك
أعتمر بالريح ، أمد جسورى

أمتشق أساى
وأسكن وجهك السرى
اسكنه اغصانا مثقلة بالثمر الممنوع :
فما أحلى ان نتراسل بغير بريد
وان نكتب عن الفرح المطرود
بالرمل والجليد :
أيها الوجد الينبوع
أيها الفيض القديم الجديد
هذه « تونس » أمتشقها
أعشقهــا
فأين الحدود ! ؟

* * *

هو الوجه يرفع الراية يكابر
فهل يظل يصطلى لظى التهم
أم يحــاور ؟

* * *

هــو الكشــف
أى كشف تسقط كل اللحى التى اغرقتنا فى الدماء
ملســاء !
هــو الكشــف
أى كشف تسقط كل الأصابع التى اغرقتنى فى الرياء
بتــراء !
ويختلط الدم بالنبيذ بالنفط
باللهب فى رحم الأشياء ،
هــو الحــزن
أى حزن تأتى به نوارس البحر

بين الحلم والغيبوبه
ترويه للشعب ذاكرة الصحراء :
« كان الرشيد يضاجع خمسين امرأه
ويمد كم الثوب للفقراء ،
وصار الرشيد يغتسل بالحصى كل مساء
ويحلم ككل الفقراء ! »

★ ★ ★

أيتها الأرض التى تلغينى
أو تبقينى
والتى بالصبوات المدبقة بالمسك
أضاجعها حين تأتينى ،
إنى شئت هذا الزمن استبقيه
إنى شئت من يجابهنى بالافك
ألغيــه :
فتعرى الليلة فى حضرتى
أمطرك مطرا ناريا
وأزرعك رفضا إلى الأطلسى :
فوجهى سمى العشق
التـوقـع
العـذاب
وليس ثمة بينى وبين الرسل
مـن غيـاب
أيتها المعشوقة أحبينى
فقد زاغ كل أحبابى ٠

م٠ أ٠ ف٠
تونس – ديسمبر 74

امـــــــوال

قصة بقلم : علي الشملي

حدث الاستاذ حكمة قال : لم تكن معظم الطرقات فى بلادنا معبدة ، فكان يشتكى من السير فيها حتى اولئك الذين عرفوا بانهم يتحملون صعوبات الطريق وتاثيراتها فى اقدامهم ولا يرضونها فى احذيتهم وبدأت الامور تتحسن تدريجيا فى سنوات الخير والمطر فحمد الناس الله كثيرا اذ نشطت التجارة والصناعة وانتشرت الاسواق الاسبوعية فىعديد الساحات العمومية والجهات النائية فاصبح القوم يتنقلون بكثرة وهم فى سعة من العيش ..

أصاب الاستاذ حكمه سعال شديد فتمتم بتقطع وهو يخرج منديلا متداعيا من تحت ركبته اليسرى :

ملعون هو كل شيء ... استغفر الله ، يرحمني واياكم الله اعوذ بالله من كل شيطان رجيم . جرع رشفة ماء من اناء الفخار الذى قدمه له احد المنضمين الى الحلقة ثم حمد الله وواصل يقول : وكان السيد الوقور وصاحب الفضل الكبير على المساكين وذو العطاء الميمون محمد الناجى من اثرياء الجهة واتقاهم واكثرهم جودا وحكمة ، تصوروا انه ... لعنة الله على كل شيطان رجيم يريد به شرا ... انه يفطر رمضان لانه ، والله اعلم ، من الذين لا يطيقونه ،،، اعوذ بالله ،،، ويطعم فى اليوم الواحد ثمانين مسكينا عوض الستين الشرعيين وقد يصل هذا العدد الى ما فوق المائة فى عديد الايام ... رفع الاستاذ حكمه يديه الى السماء واستغفر الله متمتما : ان شاء الله ديمه نصوموه ، دنيا وآخره ، آمين ، ...

عدل السيد محمد الناجي عن التجارة بعدما تعب منها وقد وفرت له ارباحا خيالية ضخمة ، فشيد ديارا فخمة سوغ اثنتين منها وسكن واحدة واحتفظ باخرى مغلقة لابنه حتى يتزوج فى السنة القادمة او التى بعدها والله اعلم ، وهو يرفض ان يتركه يسكن فيها بمفرده او يصاحبه اليها ذكر خاصة اذا كان من الاحداث ، او .. استغفر الله ... انثى مهما كان سنها ...

فى هذه اللحظة تفطن الاستاذ حكمه الى هبوب ريح قوية اغلقت النافذة بقوة وقد أبرقت السماء وارعدت،فارتعد وانتفض ومن حوله القوم شاخصون وإليه منتبهون، ثم عاد الى هدوئه واخرج سبحته من تحت ركبته اليمنى واخذ يمرر حباتها بين اصابعه ويذكر الله مرددا بسرعة : عفوك اللهم من كل تقلب مفاجىء حتى اكسو سقف البيت بطبقة من الجير اجعلها سميكة اكثر هذه المرة ،،، استغفر الله ،،، استكثرت اجر العامل الاول ،،، بسم الله ، بسم الله ،،، ووعدنى الثانى ولم يحضر من غير تسبقة ،،، يا لطيف ، يا لطيف ،،، وطلبت ثالثا فاقسم انه لا يتاخر ، ولم يحضر ،،، اعوذ بالله ، اعوذ بالله ٠٠٠٠ سكت وقطب جبينه وشخص ببصره الى النافذة ، ثم عاد يروى والناس فى شوق الى ما سيقول : ٠٠٠ فقد قرر السيد محمد الناجى ان يفتح له مقاولة فى تعبيد الطرقات بكامل البلاد ، فاشترى لهذا الغرض بناية كبرى جعل القسم الاعلى منها ادارة والاسفل مستودعا لحفظ الالات والمعدات ، واكترى اصطبلا شاسعا ثم اشترى عددا ضخما من البغال يبلغ، والله اعلم، حسبما قالوا ، خمسمائة وكذلك عددا كبيرا من انواع عديدة من الالات ، وهذه البغال صالحة لجر المرداس اذ انه لم يقع فى ذلك العصر اختراع المرداس الميكانيكى وقد تجمهر الناس لمشاهدة هذه الحجارة الضخمة الاسطوانية الشكل التى تدك الارض عند سيرها دكا لا كلام فيه ٠ وقد جعل فى كل منطقة فتح بها حضيرة رئيسا وعمالا ومرادس وبغالا وخياما وانتشل بذلك عددا من المتسكعين والعاطلين عن العمل بتوفير الشغل لهم واجبار البعض منهم من الكسالى على الكد والاجتهاد بالتهديد والضرب فى بعض الاحيان والاغراء بالوعود والملابس والحمر والنقود وحتى النساء ، فكان مصلحا رحمه الله ، ذلك ان سيدنا هذا الوقور جمع بين طائل الثروة وقوة الشخصية والكلمة المسموعة والسلطة والطاعة ، فكان صاحب القول الفصل امام الجميع كبر شانهم او صغر ، لانه كان كثير التبرع ، والمال قوام الاعمال ٠ رفع الاستاذ حكمة يديه وقال مهددا ويل للذين يكنزون الذهب والفضة والحقد فى الصدور٠ثم فرك يديه وقطب جبينه واخرج بعد ذلك علبة النفة والمنديل من تحت ركبته اليسرى ووضعهما امامه والناس من حوله ينظرون فى خشوع وذهول وصمت وشوق بدا على وجوه البعض منهم بينما استسلم آخرون الى اغفاءة خفيفة دون ان يصرفوا اهتمامهم عن الاستاذ الذى واصل يقول : وفى يوم من الايام تلقى السيـد المحتـرم ، وبعد اشهر من العمل ، برقية من رئيس حضيرة المنطقة الشمالية هذا نصها « ما العمل يا سيدى ، تسع بغال عجزت عن جر مرداس واحد رغم المحاولات المتكررة منذ الصباح ٠٠٠ »

غضب السيد الناجى غضبا شديدا واحتار فى امره وتألم كثيرا واخذ يفكر فى هذا الامر المحير ويتساءل عن سبب هذا العجز وسرح به الخيال الى تأويلات شتى ، بغاله من النوع الممتاز وتوصياته بتقديم العلف الكافى اليها مستمرة وحرصه على ان تبقى دائما قوية منتجة كبير جدا ، وبدون اضاعة للوقت قرر أمرا هاما اصدره فى برقية استعجالية الى موكنه يقضى بنقلة رئيس حضيرة المنطقة الشمالية الى المنطقة الجنوبية والعكس بالعكس .

قال الاستاذ حكمه : وصل رئيس الحضيرة الجديد الىمركزه فى آخر النهار تبعا محتارا ، عاملا بتوصيات(العرف)الذى أتح على ان لا ينقضى النهار حتى يكون الحل قد وجد والسبب قد عرف ، فوجد الناس متجمهرين على حافتى الطريق بعضهم يسخر والبعض الآخر يرثى للحال وفريق ثالث يتندر لقدوم (مقدم) جديد له تجارب فى ميدان الحيوانات وفهم لغتها ودعوه من اول وهلة (بالشاف سليمان) . تأمل الحيوانات مليا وهش عليها بالسوط فتململت واثبتت حوافرها فى الارض ولكن بدون جدوى،فأمر بابعاد البغل الثانى من الصف الاول ففعلوا وعاد يلوح بالسوط ما بينها فما افلح ولا افلحت ، فامر من جديد بابعاد البغل الاول من الصف الثانى ، فابعدوه وصاح بالحيوانات فحاولت لكن المرداس لم يتقدم الا بعض اصابع ، وهو يتاملها مليا واشار عليهم بابعاد البغل الثالث من الصف الثالث ففعلوا وهوى بالسوط على ما تبقى فاذا البغال تقفز بالمرداس فى سرعة وقوة بين هتافات الحاضرين وقهقهاتهم ومرحهم الغريب ...

توقف الاستاذ حكمة عن الكلام وضحك مع الجماعة ببرودة فالتمعت عيناه وهو يديرهما بين الحاضرين الذين تفتحت اساريرهم بنوع من الابتهاج والطرافة وقفزوا اليه بالسؤال الذى كان ينتظره منهم وهو نفس السؤال الذى انتظره رئيس الحظيرة الجديد حينما قالوا له: اليس منالغريب وغير المنطقى ان تستطيع ست بغال جر المرداس فى حين عجزت تسعة ؟ ...

ثنى الاستاذ حكمة ركبتيه ثم القى بذيل برنسه الابيض على كتفه ونهض متثاقلا يتمتم : ألست بغال التى ابقاها ــ الشاف سليمان ــ كانت تحاولجر المرداس ومعه الثلاث بغال الكسولة التى اثبتت حوافرها فى الارض ، وهو ما جعلها تعجز فى اول الامر ، واضاف قبل ان ينصرف : ان الفرق بين رئيسى الحضيرتين هو ان الثانى عرف ما لم يعرفه الاول فنجح ، وانه تفطن الى وجود ما لم يتفطن الى وجوده زميله من احوال البغال وأحوال الناس .

ع. ش.

الوحدة

نظــم : الشاعر الفرنسى ألفونس لامارتين

تعريب : الشاعر المصرى العوضى الوكيـل

أسرح الطرف فىالوادى الذىانبسطت امـام عينـى ووجـدانى مـرائيـه
والشمس تسبح نحو الغرب فى طفل وقد جلست حـزين الفكـر عانيـه
فى ظل (بلوطة) (1) أمست كهولتها تذرو الشجون على الوادى وما فيه
أرى هنا غالبـا فى وحـدة عجـب مشـردا ، وكـأن القلب فى تيـه

★ ★ ★

كم يهدر النهر فى واديـه منطلقـا وفوق امواجـه وشـى مس الزبـد
لقد تلـوى على الـوادى وسـار الى حيث اختفى مخدرا فى ظلمة الأبـد
وفى البحيـرة مـاء راح فى سنـة قد لفـه عبقـرى الصمت فى بـرد
نجم المساء سما من عندها صعـدا الى السماء٠٠٠ وما ابهاه فى الصعد

★ ★ ★

والأفـق اطرافه ابيضت جوانبهـا وازينـت ببخـار أبيـض يقـق
فملكـة الظل تسـرى فى جلالتهـا فى مركب بجمـال الظـل متسـق
والشمس فى موقف التوديع باعثة أشعة قبل ان تهـوى الى الغسـق
تـودع الغـابة اظلمـت مساربهـا لاحت على قلـة تسمـو على الأفـق

★ ★ ★

وعابر السهل يصغيه (2) ويوقفـه شتـى لحـون وانغـام واجـراس
كم تمزج النغم القدسى صيحتهـا بضجة من ختام اليوم ٠٠٠ للناس

---

(1) كان يمكن ان نقول صفصافة وهى أرق ولكن الحرص على اشاعة الروح الفرنسية دفعنا الى ذكر البلوطة ٠

(2) يميله ويلفته ٠

تلك الأناشيد لا تنفك صاعدة الى السماوات فى لطف وايناس
من كل برج لفن (القوط) (3) نسبته مجلجل ، مالىء روحى واحساسى

★ ★ ★

أرنو الى الارض روحا هائما قلقا لا يستقر من البلوى على حال
وليس فى صور الاكوان قاطبة ما ينقذ القلب من هم وبلبال
أمضى ٠٠ وتلك المرائى ليس يجذبنى ما قد تضمن من حسن بها حال
والشمس تطلع للأحياء وحدهم فما يحس بها الملحود فى الجال (4)

★ ★ ★

أنقل العين ما بين الربى عبثا واقطع اليوم من صبح الى غسق
وأقطع الكون بالعين التى جهلت مداه فى ظلمة تطغى وفى ألق !
وهل لمثلى مكان فى رحائبه فيه سعادة روح فى الحياة شقى
لم تنتظرنى يوما فى جوانبه سعادة ٠ فتولتنى يد القلق

★ ★ ★

لكن هنالك شمس جد ساطعة شمس حقيقية فى عالم ثان
نهاية الفلك الدوار مطلعها بنت سنا فى سماوات واكوان
هل لى سمو بروحى ٠ وهو فى جسد مركب الجسم من أخلاط ادران
الى مدى فيه ألقى كل ما حلمت به امانى قلب فى ظمآن

★ ★ ★

هناك أثمل من ورد ومن نهل يا طالما رمته من قبل سلسالا
هناك سوف ألاقى الحب مبتسما هناك سوف تلاقى النفس آمالا
فى باحة المثل الأعلى وساحته ترنو إليه قلوب الناس مختالا
فما له اسم بظهر الارض نعرفه ما طاف قط بدنيانا ولا جالا !

---

(3) يريد ابراج اجراس الكنائس التى شيدت على طراز قوطى وكان طرازا شائعا فى فرنسا على عهد لامارتين ٠
(4) جانب القبر ٠

يا مركب الفجر هل لى فيك منفسح
يامركب الفجر هل لى موضع فيكا؟؟
أمضى الى هدف مستبهم ، بكرت
نفسى اليه يقض الروح تشكيكا
منفاى فى هذه الدنيا برمت به
قد ضقت يا ايها المنفى بما فيكا
فليس بينى وبين الارض من سبب
يا قلب ماذا ترى فى الارض يسبيكا!؟

* * *

اذا هوت من ذرا اغصانها ورقه
والشمس فى موقف التوديع محترقه!
تهب ريح فتذروها وتحملها
الى عوالم لم تحلم بها حدقه !
واننى مثلها ، لا شىء يفرقنى
عنها ولا هى عنى قط مفترقه !
هيا احملينى يا ريح الشمال ولا
يأخذك فى العصف بى عطف ولا شفقه!

ع. و.

من الكتب الجديدة

« ربيع الحياة فى مملكة الله » إعداد وتقديم : عدنان حقى

93 صفحة ـ الثمن 200 فلس عراقى

مطبعة الأديب البغدادية

يجمع هذا الكتاب دراسات وشهادات فى شعر عبد الوهاب البياتى عنى بترتيبها وإخراجها صديقه عدنان حقى شهاب بعد أن كان أخرج سنة 1972 مجموعة أخرى من الدراسات فى كتاب سماه « النموذج الثورى فى شعر البياتى » والدراسات الواردة فى هذا الكتاب كانت بقلم : غازى العبادى ـ محمود أمين العالم ـ فاروق عبد القادر ـ أحمد المجاطى . وقد وافتنا نسخة مهداة من الشاعر فله شكرنا .

رحلة السندباد الاخيرة

قصة بقلم : نور الدين كريديس

« القتل هو الوجه الخلفى للخلق »
نجيب محفوظ

كنت ترنو الى السماء من على الشرفة لما أتاك صوتها من المخدع ٠ لم تهتم ٠ عيناك شاردتان فى سحائب شاردة ٠ ولا ترغب فى أى شىء ٠ شعرت أنك فارغ ٠ وزارك صوتها ثانية ٠ لم تبال ٠ انثال الضجر على كيانك فهدمه ٠

ـ ألا تسمع ؟ ! ٠٠
ـ ٠٠٠
ـ فيم تفكر ؟ ! ٠٠
ـ ٠٠٠
ـ الاحسن ان تبحث عن ٠٠
ـ أوف !!
ـ اليأس يحرق المدن ٠
ـ ٠٠٠
ـ انى خارجة ٠٠
ـ ٠٠٠

اليوم يقهرك السؤال ٠ أين نصيبك من الأفق ونصيبك من الارض ونصيبك من الاحلام ؟ أأنت حر فى البؤس والاحتراق ؟٠٠ أأنت حر فى الطواف بالشوارع أو بالنوم حتى الضحى على ثدى راعية نجوم ؟٠٠ فيم أنت حر ؟٠٠ حر فى التمويه على نفسك لقد دمر الضجر تمويهك ٠ فطول الليالى الباردة اذبل حريتك الصغيرة ، البائسة ، وطول الايام الوحيدة أغرق شيأك العزيز على قلبك فى مستنقع لا نجاة منه ٠ لم تعد تصلك رائحة تمزقك ، رائحة الحياة ٠ فهل آلت مدينتك الى رماد ؟٠٠ وكنت تتصور انه لا فرصة للاختيار ٠ لذلك سقطت فى

الفراغ والعبث والظلام · وها هو السؤال رمق أخير، يستيقظ فى كيانك ، يزرع الحيرة ، يزرع الالم ، كالمفقود فى الظلام لا يرى نفسه ولا يرى الارض ، يتحسس عابثا شيئا فى الظلام يحسبه نفسه · واين هو من نفسه ؟··

وردد أخيرا : اين أنا فى كل هذا ؟

قالت : تسللت الى البيت عند الفجر·كان الجو باردا، موحشا،وكان رأسى خاليا ، موحشا ، قد حفر التعب فخذى ، وحفر السهر حدقتى ·· اغتسلت وخرجت من الحمام عارية · فى تلك اللحظة آمنت بالماء واحسست اننى جميلة ، ودب فى الحب ، ولم اضىء المخدع ، بل ارتميت على الفراش ، شعرت ببرودته تدغدغ لحمى العارى ، فسرت فى رجفة ، ورغبت بجنـون فى الـدفء ، فى الحياة ·· نقلت ذراعى لاحيطه بها ، لكنى وجدت مكانه خاليا ، باردا · تحسست بساقى لأتأكد ·· أين ذهب ؟··

ــ عمر ··

ــ ···

ــ أين أنت ؟ ··

وتذكرت اننى تركته هناك · وتدفق من الشرفة هواء بارد وكان هناك · من الضحى · نائم ·

وتعجبت ··

ــ عمر ··

حركته برفق ·

ــ هيا ·· الدنيا باردة ·

ــ أنت ؟ ! ··

ــ نعم · أنا ·

أحطته بذراعى ·· دفعته الى الفـراش · التصقت به أكثر فأكثر · كأنـه يفكر ·· لم يتحرك ·· تماديت فى اغراقه بالنشوة · لكنه قال بهدوء :

ــ ابتعدى ··

لكنه قال هائجا :

ــ ابتعدى ··

ذعرت · ابتعدت · لم أقل شيئا ، اقتربت منه لاهدئه ، صفعنى فى الظلام · سال خيط دقيق من أنفى · شاعت رائحة الدم فى المخدع · مثلت دور الانثى الضعيفة · فانهال على ··

ــ قذرة ·· أتحسبيننى كلبا ؟ نتنة ! اللعنة !

ولم اعد احتمل · فسقطت دون رجاء او أمل ، كنت تلهث ، تتقلب فى الغضب والثورة · أضأت الغرفة ، بدت لك مقيتة عارية وكنت تحس انك أفرغت شيئا من حزنك ثورة عليها ·· وجعلت تحملق فى عرائها ، ولا رحمة ، فقد مات القلب ، ومات الجنس · وركبك التفكير · حقا لقد وفرت عليك مشقة الحفرة والخبز · لكنها سدت عليك الضياء · نزف جرحك طويلا حتى عذبك · نزف فى الخفاء وفى الظلام ، حتى هاج السؤال ·· الان : عليك ان تخلق وجها جديدا ·· لان وجهك الماضى ضاع الى الابد ··

* * *

ما أصعب الخلق والبداية فى مدينتنا المثقلة بمئات السنين ·· هذا هو الثقل يعبق فى كل مكان ، تحت الاقدام ، على الشرفات ، فى زوايا الشوارع ، فى الساحات ، فى اشجار التوت ·· وهذا حلم النهار مجهد حزين ·· وأين الفرحة يا حبيبى ·· فرحة الحياة ؟ ·· فمدينتنا ضيقة ·· وانا أخاف على وجهى الجديد · أخاف ان أموت قبل ولادتى ··

* * *

خيط من نور ابيض ينغرس على أرضية القاراج · تمطى ، تحرك ، انتفض ، جمع عظامه ولحمه ، قام ، نظر الى السقف · جدران القاراج قديمة ، مخيفة · الصمت مطبق عليها · سرير ملقى فى ركن ، مرآة صفراء معلقة على الحائط · و « بلودجين » ميت على كرسى لا مسند له · فرك عينيه · مرر اصبعه على شاربه الاسود · الشارب الاسود علامة الوجه الجديد المعكوس · دس « البلودجين »الى حزامه ، وبصق · أغلق باب حفرته الجديدة المعكوسة ، وتوجه الى المقهى ·· يستنزفها قطرة · قطرة · يدس يده فى جيبه ·

ــ بلاش · اشرب يا راجل ·

كان القهواجي يخافه .. وكان الوجه الجديد المعكوس فخورا . ينظر من زجاج نافذة المقهى ، النهار عادى كالامس. ولكنه ليس كالغد . غادر المقهى . ورغم الصباح ، فقد بدأ يشعر بالضجر من واجهات المغازات ، من وجوه المارة ، من العمارات ، من السير . صداع خفيف يدور برأسه بقايا السهر .

كالمحترف منذ ألف سنة يصنع المغامرة .. وما من شاهد غير ظلمة او صمت .. ويحيا ليالى جنونية .. المغامرة . مادام لم يملك شيئا ابدا فليخطف ..

رآه يفتح باب العربة ، عربة سوداء . رآه يتأهب ، يمسك محفظة سوداء . لم يقدر على رؤيته ثالثة . انقض عليه لكن الرجل قاوم ، لكن الرجل غريب فى صراعه . كان الحياة أو الموت متعلقان بعراكه . ولم يجد (عميراتو) بدا من استلال سكين ماركة امريكان . فبهتت مقاومة الرجل ولا كلمة يا ابن الكلبة .. فقد أجلت قتلك .. اللعنة على الدنيا الكلبة . ولا كلمة . تهالك الرجل على باب العربة اصفر الوجه وانفلت الآخر بالحقيبة . لكن ما ان اختفى عند المنعطف حتى جن الرجل . فاقتفى أثره صائحا :

— يا ولد القحـ .. بيلكتنى ..

— يا ناس .. سارق .. كلب ..

— يا عباد .. يا عبيد .. الحقوه ..

دفع ملصق اعلانات اثناء عدوه القوى .. كالمطارق فى صدره المنتفض .. ثالف قلب بين ضلوعه . لا يرى شيئا . سيقانه والمسافات . ايقاع كدقات الفناء يلاحقه .. أعالمه يذوى أم عالمهم يموت ؟ واندفع الى قبو خال . ايقاع الخطوات المصرة يخنقه كأنه يبغى الامل والنجاة . أسند ظهره الى حائط اصفر متآكل .. لا يتحرك . لا يكاد يتنفس .

— حاصرناك يا قذر ..

— سلم نفسك . فعالمنا ينتصر .

وآلمته الحقائق المعكوسة . ومازال مصرا الى آخر دقيقة . لم يستسلم . سوف يكسر جمجمة من يقترب منه . سيتلوى فيه جن الدمار . ويركبه التحدى ، وساد الصمت . وازداد التحاما بالحائط .

لماذا لا تعمى أبصارهم ؟
لماذا لم ينسج العنكبوت بيته ؟
لماذا لم تلد الحمامة بيضها ؟
لماذا لا أملك سندا أو صاحبا ؟

هذا الشر المحدق عليه أن يزيحه بدم القلب ، لا بتلك الخرافة ٠٠ لن يسقط أخيرا ٠ انه قوى ٠٠ أقوى من كل قوة ٠ وليس بحاجة لا الى عنكبوت ولا الى حمامة ولا الى صاحب ٠٠

***

لكنه الان جالس القرفصاء ٠٠ ينظر الى الاسفلت الاسود ٠٠ الى الجـدران المقيتة ٠٠ الى السقف السمج ٠٠ انه تحت سقف ٠٠ ويحرسه عالم كامل ٠٠ وهو واحد٠ فرد٠ وردد : لا يهم ان أسجن٠٠ حينئذ رحل الى نفسه٠٠ فكان سندبادا ممزقا لا يعرف الارساء ٠٠ ويعرف ان عمر الجنس وعمر العنف قد ذهبا ٠ وكان لا يهمه اى شيء سوى ان يصل الى نفسه ، رغم الجفاف ٠٠ ورغم السقف ٠٠ وملأته ثقة وطمأنينة لا عهد له بهما ٠ وأظلته سعادة يقطر منها شيء جديد ٠٠

ـ عرفتها فى مأساتى ٠٠ هذه الحرية ٠٠ أفلا تستحق ان ينبذ كل شيء من أجلها ؟ ٠٠ على هذه الفكرة المولودة ان تمسح اليأس ٠ عليها ان تهدم وعليها ان تلد وتعطى ٠٠ فالمستقبل لى ٠٠ ما أجملك ايتها الحرية ٠٠ ياأغنية السقيـا ٠

ن٠ ك٠

الضحك البحر

شعر : فضيلة الشابي

الضحك البحر الزاخر آت
أنبئوا القارات
من قال إن البحر مات ؟!!

* * *

الضحك اللون الكوكبى
الضحك النار آت
أنبئوا مدن الحديد
أنبئوا القلوب الحديد
الضحك طرق الأبواب
وراء ستائر الحزن الناس يرتجفون
يرتجفون ...

* * *

حين اخترق المد خيام أيامكم المهترئة
شىء هوى فيكم
وسمع فى الأرض صليل الحديد
آت ، آت الضحك البحر الضحك اللون الضحك النبى

ف. ش.

لوحـة

صلاة الحرف

بقلم : محمد الحبيب براهم

الاهـداء :

الى من نزل خبر ولادته على قلبى حمدا لله وتعبدا فى محراب البعد الآخر ٠٠ الى ابنى الحبيب : « نزار » ٠٠

الفاتحـة :

عندما يفتض النفس قلبى يضيق بعد الحرف ويغشى على اللغة ويختن اللسان فأرحل ٠٠ أرحل مع بركان الانفجار فى صدرى وألهث معفرا وجهى فى أهداب الخيال باحثا عن مرضع لقلمى ، واثداء سماء الحرف ضنينة ٠٠ أرحل ووجهتى عالم ما لا وجهة ٠٠

وأضرب فى الارض رسولا يستدر وحى ما بعد الوحى يبكى فى اعماقه سماء ويتقيأ فى ملامحه أرضا ٠ وتغازل المشاهدات « السندبادية » الرحيل « النوحى » ويزف البعض الى البعض وتنهل دموع القلم مزغردة ببشرى ولادة الكـل ٠٠ وأبحث للوليد عن هوية أعرق تاريخا من جدران البلديـة ٠٠ فأرانـى مطلقـا خاطبا ٠٠

الركعـة الاولى :

وتهتف بى النبتة فى أعماق المحيطات وعلى أفـانين القمم هـازجة تشـرب الشمس وتعزف النسيم وتميس ثملى على نخب الندى ٠٠

والطائر يهتك الزمن ويغتصب المدى ليتزوج حبة وقطرة يحملها مهــرا لعش فى أعالى صفصافة ٠٠

وتتزحلق عجلات الزمن ويمرق الدهر راسما عازفا صارخا منشدا : « ولد الانسان » ٠٠

الركعة الثانية :

ويزف الكون للدنيا وتعانق النبتة الطائر وتناجيه، طلا ناضحا، ويناديها، لحنا منسابا ، وتسفر الحياة ! ·· تبرق ·· فيدفع الضوء وليدا باسما يرضع حلما فى بطن الكون ··

·· وترعد ·· فيهطل الصوت جهوريا وتتسع البسمة الوليدة سواعد مفتولة تخرق السحب وتغسل الارض ··

·· وتمطر ·· يبيض المحصول ويحتضن الزمن سنابل معتقة تحنط فى أهرام القدر ثم تغط منتظرة مأدبة البعث !

الركعة الثالثة :

وأتصور البرق وأتسمع الرعد وأنهل المطر ·· وأتأمل طريقا متشعبا لا ينتهى ·· ثم أسير ·

◆ وأمر فى تجوالى المخمور بالفلاح يزرع فحولته فى الارض ويحبل الحصى والشوك والغبار ··

◆ وأبصر الملاح يتوسد الماء الرخو ، يشرب أفقا لا تحده ناطحات ناهدة الصدر ويتوضأ بنسيم لم تلغظه احشاء المصانع ··

◆ وتحضن عيناى على الشاطىء الهامس عاملا يستحم فى عرق الطهر ويتلفع برداء الكد يخفى بالجهد عورة البشر وينتج من مادة الضعف عناوين قوة تتصعد شماريخ مقهقهة فى سماء مطاردة وترسم على صفحة الفضاء المثخنة عناء انشودة العزم والبناء ··

الركعة الرابعة :

وأشاهد الرسام يطرد الحياة من حياته ، ويغفو على حصير ريشته فيمسح بالخدعة وهم الزيف ويمتطى لظى الخلق فى صرخة مخاض ·

ويلوح لناظرى المتراقص الموسيقار يخب فى مركبة المواويـل ويطـوح بـه الصدى فى أبراج سحيقة ويلقى به الالهام فى اغوار شامخة ٠٠ ويهدهدنـى ، والشعر حلم مضواع ، خيال شفاف فى صوت حريرى يمتطى صهوة المعلقات السبع ويجوب دنيا الموشحات ويرسى فى ميناء بحور تتمطى فى أرض الايحاء ٠٠

وأغفو على رناته : خببا توشيحيا يتخطى آفاق الزمن ٠٠

النوافــل :

◆ وتطالعنى المرأة يبصقها الرصيف فتربت على بطنها ترقى لقيطا أماتها ولما يولد ٠٠

◆ وأشهد الفقير يتصدق برقعة الثوب المنتحر على لحم الثوب المعدم ٠

◆ وتولد فى سمعى نغمات تكبح جماح التحدى وتخمد جذوة التمرد وتنبت فى صدر من ضغط على الزر وكشف سر القمر زهرة فواحة اوراقها : حمدا لك يا رب ! ٠٠

الشهـــادة :

ويشرق فى قلبى نور وأجد لوليد الرحلة ما لم أجد ، وأعلـم اننـى وان لم يرضعنى « كوثر » الشعر او يطعمنى « زمزم » النثر فكلى ايمان بان قيثـارة الحرف لن تصاب بالنزلة الصدرية ما هللت فى الكون صلاة الحرف فى محراب البعد الآخر ٠

م٠ ح٠ ب٠

كنت مراهقة

مهداة : إلى الذى أبى ان يجعلنا نعيش حيرة الانسان

شعر : عائشة الخضراوى
ـ القيروان ـ

كنت مراهقة
أبحث فى الوجوه الآتية والغادية
عن وجه يشبه حاضرى
يرسم مستقبلى
بحروف هندسية
كنت مراهقة
أبحث عن الحرية
فى أفعال لا وجود لها
وأحطم قلبى
كلما انفجر ليركع مصليا
للكلمات الجنونية
كنت مراهقة
أنام على سرير الثورة
وأعطر جسدى
من رائحة الأرض
وأقطف من ثغور اليتامى
أزهارا تزين شعرى
كنت مراهقة
أضحك للألم الذى يمتص
حمرة وجهى
ويطفىء لهيب عينى
كنت مراهقة
عندما ، مات الحاضر والماضى
وكبرت عيناى
لتحويك أنت يا معتنقى
ويا خالقى

تأثير الحركة الوطنية

على تطور التشريع التونسي II

بقلم : محمد منصور

الفصل الثالث * : تأثير الحركة الوطنية على ظهور التشاريع الاصلاحية

ان الجذوة الوطنية لم تنطف أمام طغيان الحكم المطلق فاتخذت شكل الاصلاح الادارى على يد المصلح خير الدين الذى انصرف عند توليه الوزارة الى تطهير البلاط من العابثين واخذ على عاتقه اصلاح الامور الادارية والقضائية فكون مجالس قضائية تنظر فى مختلف الدعاوى جنائية كانت او مدنية ، وسن لها القوانين : كقانون الفلاحة الذى غير فى عهد الحماية بنص لم يدخل عليه من التحوير الا جزءا بسيطا يلائم حاجة المستعمر الى استغلال اعوان الادارة التونسية فى داخل البلاد لتدعيم سطوة معمرى الارض من الاجانب ، وقانون الاجراءات لدى المحاكم الشرعية التى خصها بالنظر فى الزيجات ، والنفقات والتركات واستحقاق العقار وقانون احداث البلديات (I) .

وخطط برامج عمل وصلاحيات أقسام الوزارة بين وزارة كبرى ووزارة عدل ووزارة تربية ووزارة خارجية ـ باصطلاحنا الحديث ـ ونظم طرق الاشراف على معاهد التعليم وخاصة منها جامع الزيتونة ومعهد الصادقية ، كما نظم الجريدة الرسمية وغيرها من المشاريع التى بذل الجهد فى ابرازها ، كما اتخذت الروح الوطنية مظاهر اللوم والتصدى مرة ، والنصح والارشاد اخرى ، لاقناع الباى وسلط الحماية بضرورة الحد من طغيان الحكم الفردى ، وتفريض السلط القضائية لهيئات عدلية مختصة ، وتعيين الحقوق الفردية والعامة ضمن مدونات قضائية قارة ، وتخليص احكام المحاكم العدلية من مراقبة الكاتب العام للحكومة ، ومن أهواء السياسة الملكية ، فى الاذن بتنفيذ عرائضها او تعطيل العمل بها ، مما

(*) نشر الجزء الاول من هذه الدراسة فى العدد الماضى من الفكر (فيفرى 1975)

(I) يراجع الاستاذ محمد الطاهر السنوسى فى محاضرته المشار اليها سابقا

دفع بالكثير من القضاة الى معارضة توجيهات الكاتب العام للحكومة ، والاصرار على رأيهم فى القضايا المعروضة بين ايديهم ، حتى كتبت جريدة الزهـرة عند الاعلان عن وفاة القاضى الشهير محمد (بالفتح) بوسن (مات القاضى الذى كان لا يحكم من وراء حجاب) لما عرف به من شجاعة واصرار فى مواجهة تحديـات ادارة الاشراف الاستعمارية ·

وكنتيجة لهذه المساعى الدائمة اضطر الباى الى تفويض سلطته فى التصريح بالاحكام الى مجموعة من المجالس العدلية المنتصبة لفصل النوازل الجنائية والتى أسست بموجب الامر العلى المؤرخ فى 18 مارس 1896 بعد ان اعترف للخصوم فى القضايا المدنية بحق الاطلاع وتسلم النسخ من الاحكام الصادرة فيها وذلك بموجب أمر 27 ديسمبر 1884 ـ كما أذن بتأليف لجنة لتحرير مشروع مجلـة مدنية وتجارية صيغت بنودها المستمدة فى معظم الاحيان من احكام مجموعـة قوانين عهد الامان ضمن لائحة طبعت سنة 1899 لم يؤشر عليها بالاصدار الى أن أصدر الباى فى 15 ديسمبر 1905 امرا بنشرهـا وسماهـا مجلـة العقـود والالتزامات ، وقد توفرت على اعداد لائحتها لجنة فنية مختصة من اعلام القانون والقضاء من بينها مقرر اللجنة الاستاذ (د· صانتيلانا) الذى اوضح ان (مهمتها تتمثل فى ان تجمع وترتب وتنتقى من التشريع الفرنسـى مـا تـراه صالحـا للاستعمال فى مهمة التدوين النهائية ، على ان تترك جانبا المواد المتعلقة سـواء بالاحوال الشخصية او بنظام الملكية العقارية ، كما كان عليها من ناحية اخرى ان تستخرج من عمل المحاكم الشرعية ومن التشريع التونسى ، كل ما يمكن استعماله ، لتماشيه سواء مع مبادىء القانون العصرى او مع الظروف الحالية للمجتمع التونسى (1) وقد توفر على شـرح هذه المجلـة وتحليلهـا الاستـاذ (اندرى موريل) ضمن كتابه المطبوع فى سبتمبر 1911 ·

الا ان ذلك لم يشف غلة الوطنيين ، فانبرى اعضاء تونس الفتـاة اللذيـن انضووا تحت راية جمعية قدماء الصادقية سنة 1905 بزعامة على باش حامبة الى ملاحظة (ان الاصلاح الحق الذى يتمثل فى تفريق السلط والتفويض للقضـاة التونسيين فى محكمتى الاستئناف المدنية والجناحية وفى محكمة الجنايات ، لم يظهر له اثر ، خاصة بعد ان ازداد ضراوة تدخل الكاتب العام للدولة التونسية

---

(1) يراجع تقرير الاستاذ (د· صانتيلانا) المنشور بمدونة مجلة الالتزامات والعقود المعلق عليها من طرف الاستاذ محمود بالشيخ ص 3 ·

ومدير العدلية في الاحكام عن طريق المعاريض) والى التنديد (بضعف الاجراءات المدنية والجزائية ، وبالهوة التي مازالت العدلية التونسية ترزح فيها نتيجة لما كانت تعمد اليه السلطات الاستعمارية من انتهاك لحرمة القضاء الوطني واستيلاء على اختصاصاته لفائدة المحاكم الفرنسية ، مؤكدين بان نشر القوانين لا يكفي لاصلاح الاوضاع ان لم تصحبه الضمانات الكفيلة بتطبيق مضمون تلك القوانين) .

فقد كتب علي باش حامبة في جريدة التونسي (ان القضاء من المؤسسات الاجتماعية التي تتأثر اكثر من غيرها بالتطور الذهني والاقتصادي لشعب ما ، وكل شعب متطور هو في أشد الحاجة الى قوانين جديدة والى ضمانات جديدة لتطبيق تلك القوانين) .

وقد آزره في ذلك حسن القلاتي الذي طالب على صفحات نفس المجلة (باعداد برنامج كامل في آجال مضبوطة للاصلاحات المزمع انجازها بشأن اعادة تنظيم القضاء الوطني على ان يرتكز الاصلاح على القواعد التالية :

ـ 1 ـ حتمية التفريق بين السلطتين القضائية والادارية .

ـ 2 ـ أن القضاء الذي يصدر باسم سمو الباي لا ينبغي مطلقا ان يظل محبوسا

ـ 3 ـ وجوب انسحاب وسيلة الطعن بالاستئناف على سائر القضايا .

ـ 4 ـ لا يمكن ان يوجد قضاء بدون مجلات قانونية وبدون قضاة قادرين على فهم تلك المجلات وعلى تطبيقها .

ـ 5 ـ يجب ان يشتمل القضاء التونسي على ثلاثة اصناف للمحاكم .

أ ـ محاكم النواحي

ب ـ محاكم جهوية

ج ـ محكمة الاستئناف بالوزارة او دائرة تعقيب ، وان تطبيق هذه المبادىء العامة التي لا يمكن ان تتنازل عنها قيد أنملة ، يمنحها قضاء سليما (1) .

---

(1) يراجع الاستهلال الذي كتبه الاستاذ الهادي المدني بالعدد الرابع لسنة 1971 من مجلة القضاء والتشريع ص 19 وما بعدها .

واستجابة لهذه الحملة الصحفية وللتدخلات الشخصية التى كان يقوم بهـا بعض الوطنيين من ذوى النفوذ لدى السلط الحاكمة ، وعلى الخصـوص منهـم الطاهر خير الدين ابن المصلح خير الدين باشا ، صدر الامر العلى المؤرخ فى 24 ديسمبر 1910 بنشر قانون المرافعات المدنية المنقح بامر 26 افريل 1921 ، كما صدر الامر العلى المؤرخ فى سنة 1920 بتأسيس مدرسة الحقوق لتخريج القضاة الفنيين ، والامر العلى المؤرخ فى 30 ديسمبر 1921 والقاضى بسن مجلة المرافعات الجنائية وبتفويض الباى لسلطاته فى مراقبة معاريض الاحكام الجزائية ، واصدار الامر بتنفيذها من عدمه ، الى المحاكم المختصة بنظر القضايا الجزائية ، كما صدر أمر على فى 24 افريل 1921 بتأسيس وزارة العدل وفصل صلاحياتها القضائية عن السلط الادارية ، وفى 14 جويلية 1922 صدرت اربعة اوامر علية احدهـا قاض بابطال وظيفة الكاتب العام للحكومة التونسية ، واسناد صلاحياتها الى مدير الداخلية ، والى مدير الاقسام العدلية ، واثنان منها قاضيان بضبط وظائف كل من الادارتين ، والرابع قاض بتأسيس ادارة للعدلية مستقلة عن الادارة العامة للداخلية اداريا وماديا .

وعلى الرغم من مطالبة النخبة التونسية فى تلك المرحلة ـ وضمـن امكانياتها ووسائل عملها المحدودة ـ برفع المظالم الضريبية عن كاهل الشعب التونسى وباصلاح التعليم وتأسيسه على مقومات وطنية واقرار الحق النقابى للتجمعـات العمالية التونسية واصلاح القضاء الوطنى وتوسيع صلاحياته ، وتأكيد حقوقه دستورى منتخب وإيجاد النصوص التشريعية التى تقتضيها حاجة المجتمـع الادبية والمادية وايكال السلطـة التشـريعية لممثـلى الشعب ضمـن مجلس دستورى منتخب وايجاد النصوص التشريعية التى يقتضيها حاجـة المجتمع التونسى للاصلاح والرعايـة على ان تركز احكامهـا على مقتضيـات الشريعـة الاسلامية والاعراف التونسية ، وما يصحب هذه المساعى احيانا من مواجهة نقدية وتشهيرية للتشاريع التوطينية المغرضة التى تسنها السلط الاستعمارية مباشرة او بواسطة الباى .

فان عموم التشاريع التى سنت فى هذه المرحلة والتى شارك فى اعداد بعض مشاريعها مجموعة من القضاة والاطارات القانونية التونسية انئذ كانت تمتاز :

أ ـ بتشتت عناصرها وتوزعها بين احكام طائفية شرعية او موسويه واحكام اجنبية او ملكية تستجيب لاحداث جزئية ومصالح موقوتة مختلفة الطابع والمبنى لا تصدر عن ارادة واحدة ولا لغرض قومى عام .

ب ـ بصدورها عن ارادة فوقية لا ارتباط لها بارادة الشعب واختياراته ومثله ومصالحه ، اذ كانت تنبثق عن نظر فوقى يؤمن بحقه فى التوجيـه دون

معقب ، وبواجب الاخرين فى الامتثال له دون مناقشة او رفض لما يسنه من اوامر عامة او خاصة تقتضيها ظروفه الملكية والاستعمارية بحسب ما اذا كان مصدر الامر ملكا او مقيما عاما ·

ج ــ بتبلورها فى اطار اجنبى عن مصلحة الشعب يهدف الى قهر ارادتـه وتسخير طاقته وانتزاع ثرواته ، واذا بـه شخصيتـه فى بوتقـة الاهـــداف الاستعمارية العليا التى تسعى للمس بمعالم الذاتية الوطنية من لغة ودين وتاريخ وتركيز دعائم الاستيطان والتبعية الدائمة للدولة الحامية وجالياتها الاوروبيـة الماسكة بزمام الحظوظ القومية اقتصادية كانت او ادارية او تربوية ·

د ــ بصياغتها فى نصوص مستوردة المضمون والبناء لا علاقة لها ، بارضية المصطلح التونسى ومحتواه تتناول مواضيعها من افق اجنبى بعيد الصلة عن المؤسسات والمفاهيم التونسية ومبانيها التشريعة الاصيلة ·

الفصل الرابع : نشاط الهيكل القضائى للمحافظة على الذاتية الوطنية ·

وكانت هذه المشاغل ونداءات الاصلاح تستجيب لاحاسيس القضاة التونسيين الذين طالما أعنتهم نظام الامتيازات القنصلية والسيادة المزدوجة بما اقتطعـه من اختصاصات القضاء التونسى ، وما انتحله من تشاريع لتدعيـم المصالـح الاجنبية والنيل من الشعور القومى وايكال النظر فى قضايا المواطنين لسلطات ملكية غير بصيرة حينا وأجنبية أحيانا (1) وقد ضؤل كيان القضاء القومـى وحددت سلطاته بمحاكم البايات والدايات والقواد التى تناولت فصل النوازل بأوجه ما أنزل الله بها مــن سلطان ، فعممت الاستثناءات والامتيازات وسلبت القضاء الاصلى سلطته التنفيذية وهى روح الصفة الحكمية ، فاصبح بروز آثار الاحكام الشرعية فى الحيز الفعلى منوطا بالشهوات والاهواء ، وامتدت ايدى المكاتب الادارية فى الاقسام التى تعاطى القضاء فارهقت الشعب وسامته الخسف والجور ، وانتصبت المحاكم القنصلية من جهتها تذل ابناء البلاد لصولة الاجانب

---

(1) يراجع خطاب السيد موسى الكاظم بن عاشور رئيــس محكمـة التعقيب بمناسبة افتتاح السنة القضائية وتوحيد القضاء لسنة 1957 المنشور بنشـرة القضاء التونسى لنفس السنة ·

وتعبث بمصالحهم لتحقيق ما للاغيار من منافع غير مشروعة ، وكان الامل ان يرجع عهد الامان للقضاء التونسى ما عبثت به سلطة الملك المطلق من صلاحياته واستقلاله ، الا ان المكائد السياسية وانتصاب الرقابة الادارية فوق المجالس القضائية ، واستئثارها بحق ابرام الاحكام بطريقة المعاريض الملكية ، حال دون تطبيق أصوله القضائية فبقيت المحاكم القنصلية وأضيفت اليها بدعة المحاكم المختلطة ، وعلى هذا الاساس بنى الاستعمار الفرنسى سياسته فى القضاء ، فاعتبر سيادة القضاء التونسى قاصرة محدودة ، فانشأ على الارض التونسية محكمة فرنسية يحتج لشطر من حقها بالامتيازات القنصلية وللشطر الاخر بأوهام السيادة المزدوجة التى كانت تسيطر على السياسة الاستعمارية ، فافتكت المحكمة الدخيلة من مراجع نظر المحكمة الاصلية للقضايا التى يكون احد طرفيها غير تونسى ، وقضايا المنازعات العقارية فى الملك المسجل وغير ذلك ، حتى اصبحت المحاكم الفرنسية تقضى بين طرفين مسلمين فى نوازل الحالة الشخصية ، وتقضى بين تونسيين فى نزاع حول ارض تونسية ، وبعد ان استأثر القضاء الاجنبى بما خصص به نفسه ، رد الفواضل على القضاء التونسى ، الذى اصبح منهوكا مشطورا بفصل احد شقيه عن الاخر ، وسلب القوة التنفيذية عن احكام القضاء الشرعى والزامه فى المظاهر والاجراءات أشكالا جامدة بائدة تفضى به طبعا الى الاضمحلال ، بالحط من رتبة المحاكم العدلية وبوضعها تحت رقابة حكام فرنسيين يشغلون مناصب الادعاء العمومى زيادة على الزام المحاكم العدلية بالصبغة الادارية المنافية لحرمة القضاء .

فكان ذلك مدعاة للشعور بالغضب والحسرة لدى القضاة التونسيين ، وحافزا لهم على مواجهة مظاهر الاستبداد والتعسف التى يلقاها المواطن التونسى عن طريق السلط المستبدة او الهياكل الاستعمارية المفتعلة ، بمجموعة من المواقف الوطنية المصممة والمركزة على دفع شبه القصور والاقليمية والتعسف التى كان يلحقها باطلا المؤرخون الاروبيون المغرضون بأحكام التشريع الاسلامى والقضاء الاسلامى ، زعما بان ما يحتجون به من مظالم الملك المطلق ومن قصص الاستبداد الشخصى الذى يرتكبه بعض ملوك المسلمين ازاء بعض الاجانب انما يجد سنده فى احكام الشريعة الاسلامية ، وهو ما يدعو فى نظرهم المغرض الى قصر نظر المحاكم الاسلامية دون تناول احوال الاجانب وقضاياهم ، وذلك تبريرا لظهور المحاكم القنصلية بالبلاد الاسلامية ولما افرطت فيه من تصرف وتجاوز للسلط حتى لكأنها دول مستقلة داخل الدولة المضيفة .

فأكد اولائك القضاة بان تلك المزاعم لا سند لها من التشريع الاسلامى وان

ما أتاه النظام القنصلي والاستعماري هو أفحش ظلما وأسوا قصدا مما أسند لملوك الاطلاق من مظالم لا تبرر على اى حال اغتصاب سيادة الدولة ، واقتطاع ثرواتها لفائدة المصالح الاجنبية خاصة (بعد ان تغيرت الاوضاع ابتداء من ظهور عهد الامان ، واصبح تشريعنا ونظام محاكمنا يقارب شيئا فشيئا ما هو قائم فى الاقطار الاروبية ، مما لم يبق معه مبرر لنظام الامتيازات القنصلية ولا للنظام القضائى الذى انشاه الحكم الاستعمارى ولا لسيطرة الدولة الحامية على ميادين التشريع والتنفيذ والقضاء) (1) ويسعوا جهدهم الى التمسك بالذاتية القومية وابراز معالمها وخصائصها فى مختلف تصرفاتهم ومبادراتهم فلم يالوا جهدا فى :

أ ــ إبراز شخصية القاضي الوطني :

1) من خلال مواجهتهم المصالح الاستعمارية والكشف عن احابيلها المصطنعة فيما تنشره من قضايا ضد التونسيين بغرض ارهاصهم والضرب على روح المبادرة والرفض فيهم ، فكان القضاة التونسيون يأبون مجاراة السلطة ويحتكمون الى قواعد العدل ومبادىء الضمير القومي فيما يصدرون من قرارات .

2) ومن خلال تمسكهم بالاحكام الشرعية والعادات القومية فيما يأتونه من اوجه لفصل القضايا المعروضة عليهم ، وفيما يبدونه من اوجه التحليل والنقد لمشاريع القوانين ونصوصها بغرض انهاضها على مبادىء التشريع الاسلامى ومالوف العرف التونسى ، حتى لا تنسخ الذاتية القومية فى التشاريع المستوردة . لذلك كانوا لا يترددون فى الجهر باعتبار المحاكم الفرنسية ذات طبيعة استثنائية ، وفى التمسك والتنويه بتراتيب واحكام مجموعة القوانين الناشئة عن عهد الامان ، واعتبارها نافذة المفعول (2) وفى المطالبة باسناد سلط الاشراف على المحاكم التونسية من مدع عمومى ورئيس محكمة تعقيب وكاتب عام للعدلية الى حكام تونسيين .

---

(1) يراجع خطاب السيد وزير العدل بمناسبة افتتاح السنة القضائية وتوحيد القضاء سنة 1957 . والمنشور بالمرجع السابق ص 130 .

(2) يراجع القرار الاستئنافى الفرنسى الصادر عن محكمة الاستئناف الفرنسية بالجزائر ــ بموجب احالة من محكمة التعقيب بباريس ــ فى 5 جوان 1949

3) وحرصهم الشديد على تدعيم حرية الاجتهاد للقاضى التونسى وتركيز وجهة نظره فى مقابلة ما قد يتعرض له من ضغوط سلط الاشراف القضائى او الادارى على وجدانه سواء كان بصفته عضوا ضمن المحاكم التونسية او ضمن المحاكم المختلطة حتى أنه كان يؤثر عن بعضهم أنه كان يأبى ابداء رأيه فى المجالس المختلطة الا بعد ان تعرب لديه الوثائق ويناقش رايه فى القضايا بكل جدية ، كما كان البعض الاخر يرفض الامتثال لتوجيهات الكاتب العام للحكومة المدرجة على لائحة المعروض فيما يظهر له من اوجه الحكم ٠

ولتحقيق الاستمرار فى هذا المنحى وضمان الرواج له والتداول حوله ، احدثت ودادية للقضاة التونسيين تعمل على جمع كلمتهم وتمييز منحاهم والدفاع عن مصالحهم المهنية والمادية والادبية ، وعلى تدعيم شعور الكمال والاستكمال فى نفوسهم وتحريك كوامن ثقتهم بانفسهم واعتمادهم على جهودهم والتفافهم حول الودادية التى منحتهم القوة والاعتزاز ٠

ب ـ السعى لتطوير القضاء التونسى ٠

1) عن طريق الدعوة الى توسيع صلاحيات المحاكم الشرعية والوطنية وتنمية اطارها الفنى ومراكز عملها فطالبوا ضمن لوائح قدمت للباى ولوزير العدل وللكاتب العام للحكومة ، باسترداد ما للقضاء الوطنى من الحق الطبيعى فى النظر فى الاملاك المسجلة والقضايا السياسية وقضايا العائلة المالكة ، وقضايا ادارة البريد والسكك الحديدية وقضايا فواجع العمل والدفاتر التجارية ، وباعتبار وظائف الادعاء العمومى من الوظائف المفتوحة فى وجه الحكام التونسيين ، الى درجة الاحتجاج لدى وزارة الخارجية الفرنسية على القرار السفيرى المؤرخ فى 21 ماى 1951 والقاضى بقصر تلك الوظائف على ذوى الجنسية الفرنسية ، وبتوسيع المؤسسة العدلية عن طريق احداث دائرة جنائية ثانية ودوائر استئنائية بالافاق ، ودوائر اخرى بمحكمة الدريبة وبانجاز قانون اعوان التنفيذ ، والقانون الاساسى للحكام التونسيين الخ ٠ (1) وبتوسيع نطاق اليد العاملة والاكثار فى عدد الحكام لمجابهة الاحتياجات المتزايدة الناشئة عن تطور القضايا وكثرتها بالمقارنة لما عليه العدد الحالى من الحكام ٠

2) المطالبة بتوفير المهيئات المادية والاعتبارية لعمل القضاء التونسى على

---

(1) التقرير الادبى لمجلس ودادية الحكام التونسيين لسنة 1950 المنشور بنشرة القضاء التونسى لنفس السنة ص 113 ٠

اساس التنظير بينه وبين المحاكم الفرنسية ذات الطابع الاستثنائي من جهة تخليص تنفيذ احكامها من مراقبة سلط الاشراف الاداري وتوسيع افاق الترشح للخطط القضائية خاصة بالنسبة للمحرزين على شهادة الاجازة في الحقوق التونسية اللذين يجمعون في معظم الحالات بين اللغتين العربية والفرنسية ، واختزال سلم الرتب، ورفع المرتبات وتقرير غرامة الزى وتضعيف الغرامة الفنية وتعميم وسائل المخاطبة اللاسلكية بمكاتب القضاة ، واستبدال الاثاث المهترى في بعض مكاتب الحكام بأثاث يتناسب مع مهمة القضاء السامية ، وتخفيف الاعباء الشكلية للنشاط المهنى على القاضى من كتابة محاضر ومتابعة اجراءات التداعى وتلخيص وقائع الدعوى بالاضافة الى الحكم وتسنيد الاحكام ·

3) اثارة دواعى التكافؤ لدى القاضى الوطنى فيما بينه وبين القاضى الفرنسى لغويا وفنيا وذلك من خلال التأكيد على رفع المستوى التأهيلى والعلمى للحاكم التونسى عن طريق عقد الندوات العلمية وتنظيم المحاضرات المختصة وتوفير مكتبة للمراجع الشرعية والقانونية وتشجيع حركة البحث والمدارسة وتجميع نصوص القوانين التونسية وتوسيع نطاق دروس الاجازة في الحقوق التونسية بما يلائم ظروف التطور العالمى التطور وظهور الاحتياج في الاوساط العدلية لتحرير الجنسيات وتأثيرها على مرجع النظر وبعض المسائل المالية والاقتصادية والتجارية (1) ·

4) اعداد الاحكام الشرعية فى صياغة قانونية فنية مع المقابلة بين احكام المذاهب الفقهية السائدة ضمن مواد متناظرة العدد والموضوع ، وخاصة فى مادتى الاستحقاق والاحوال الشخصية بغرض تعصير المادة الفقهية وتيسير تناولها على قضاة المحاكم الشرعية وفق الارجح من المذهبين المالكى والحنفى ، وتمكين قاضى المذهب من التعرف على حكم المذهب الاخر من المدونة عند مطالبته بالحكم وفقه ، وبقصد بيان ملاءمة الاحكام الشرعية المنضبطة لمقتضيات العصر فى المجالين الاجرائى والموضوعى وكنتيجة لذلك اسس قانون للمرافعات الشرعية لمادتى الاستحقاق والاحوال الشخصية فى المذهبين المالكى والحنفى سنة 1949 ·

(يتبع)

---

(1) يراجع التقرير الادبى لمجلس ودادية الحكام التونسية لسنة 1948 الذى اعده مستشار محكمة التعقيب السيد الصادق الجزيرى والمنشور بنشرة القضاء التونسى لنفس السنة ص 107 وما بعدها ·

هذه ليلة بها النور يسري

شعر : عمر عبد البارى

شع نور السلام فى الكون لما ... بعث الله فى الأنام الرسولا
ينقذ الناس من وبال ورجس ... وضلال عاشوا عليه طويلا
قد تولى الرسول قود جهاد ... فمضى داعيا مزيحا سدولا
بانيا للاسلام صرحا منيعا ... ليس يبغى عن الرقى بديلا
شرعه العقل مرشدا ونصوحا ... فتولاه فى الحياة خليلا
أخرج القوم من كثيف الدياجى ... وأراهم النور فجرا جميلا
فانبروا سائرين للخير سعيا ... وعن الشر قد أعدوا الرحيلا
وطد المسلمون أركان دين ... وأقاموا بالحق مجدا أثيلا
صاح هذى (أكودة) الخير تبنى(*) ... وهى ترسى قواعدا وأصولا
مسجد التقوى قد بناه كرام ... هو للذكر بكرة وأصيلا
شيدته سواعد البرشيبا ... وشبابا ونسوة وكهولا
هذه ليلة بها النور يسرى ... سريان الايمان يغزو العقولا
يخفق القلب بالثناء اعتزازا ... يا لذكرى تسح فضلا جزيلا
مذ تخذناك يا رسول اماما ... لم نضل ولن نضل السبيلا
فأنرها دروبنا يا الاهى ... واجعل الحق للشعوب دليلا
وانشر العدل والسلام بدنيا ... وانصر العرب كى يصدوا الدخيلا
أيها المولد الكريم سلاما ... مجدتك الأقوام جيلا فجيلا
سوف تحيا بكل قلب وفكر ... وستبقى معززا وجليلا

ع. ع.

(*) ألقيت هذه القصيدة بجامع (أكودة) ننشرها بمناسبة هذا الشهر الذى يحيى فيه المسلمون ذكرى المولد النبوى الشريف .

اغاريد ذاك السحر

بقلم : محمود الدرويش

ان لكل الشعوب ادبا توطد خاصة اثر اختراع الكتابة رغم تقدمه عليها بزمن ليس بالقصير ٠ وكثيرا ما تعبر الاثار الادبية المحفوظة والراسخة فى القدم عن اتقان قد عرف بعد التفنن والجودة ، الى حد لا نتمالك معه عن افتراض وجود ادب متواتر لسانى قبلى ، لم يبق منه شىء بسبب انقراض اولئك الذين بنوه واسسوه ، ثم عاشوه من غير ان يدركوا الكتابة ٠ ذلك ما نستوحيه من الاوذيسا لهوميروس ٠

تتسامى فيها بعض الوجوه ، فتبرز صورها على انها نماذج تتضح من خلال ضجيج الاجتماعات وقعقعة السلاح ، ليحتفظ بها الشعب الفتى فى ذاكرته ، اذ هى التى تعينه على الشعور بكيانه ، باستمراره عبر الزمن ؛ وفى تلك النماذج تعبر الحضارات عن ذات نفسها ٠ ان كل ما يكون مادة الاسطورة قديم بدائى على المستوى المادى ، ولكنه متطور على المستوى الاخلاقى بكل ما فى ذلك من مقتضيات حسن الضيافة وتراتيبها بصرف النظر عن الحرب والمعارك ٠

ان الاسلوب ودقة النظم الشعرى يكشفان فنا مصقولا ومقدرة عظمى على التصرف ، مع براعة وحساسية مرهفة بكل ما هو انسانى ، فتبدو الحضارة الرقيقة الناعمة التى هى حضارة المؤلف او المؤلفين ٠

ولقد كان تأثير ملحمتى هوميروس بعيدا وعميقا حتى قال افلاطون فى الشاعر الاغريقى بأنه « مربى اليونان » ، ولا شك فى انه سيربى قسما كبيرا من الغرب بعد ذلك ٠ وقال هيقو « ولد العالم فغنى له هوميروس ، انه طائر ذاك السحر » ٠ والاقرب الينا من ذينك معا شارل بيقى الذى يكتب : « قد لا نجد شيئا يعادل صحيفة اليوم قدما ، ومع ذلك فانى اشعر بان هوميروس اكثر ما يكون جدة فى هذا الصباح ٠ ان المسألة ترجع الى طبع الاشياء وكنهها ٠ » (1)

(1) مقدمة الاوذيسا « لجان بيرار »

وهكذا فان لتأليف هوميروس اهمية كبرى فى العالم الاغريقى ، ثم نفس الاهمية فى العالم الرومانى ، واخيرا فى العالم الغربى • وهو يؤثر فى سواد الشعب كتأثيره على الادباء تماما • ولقد تبدو الملحمتان الخلاصة المقدسة لكل القيم الدينية الاخلاقية والفكرية المكونة لاساس الحضارة الاغريقية • ومطالعة هذه المؤلفات فى نظر رجل الغرب ما هى الا حج حقيقى نحو منبع حساسيته وضميره الاخلاقى والتاريخى •

لقد تذكرنى « الاذويسا » ببطليها « اوليس » و « بينيلوب » طه حسين فى بعض كتبه ، كما نبهنى هو اليها بما اثار فى نفسى من شوق اليها والى ما فيها من اجواء شعرية الهية تخرج عن نطاق الانسان ومحيطه الضيق ، لتسبح فى اجواء بطولية مطلقة • هى امتزاج بين قوة الابطال وعظمة الآلهة ، يقوى لـه الخيال وتخصب به الروح ، فتندمج فى عوالم بعيدة فى الزمـان والمكـان ، وتسبح فى ابعاد اختلفت مقاييسها عن مقاييسنا ، ابعاد لا تعرف الحدود المادية الضيقة ، لان معانيها تلتزم الاطلاق ، فترفرف فى اجـواء قوامهـا الجمـال والبطولة والآلهة •

ولاول مرة اقرأ فاجد الآلهة تنزل الى ارض الانسان كلما نداهـا ودعتـه حاجته اليها ؛ ولاول مرة اعيش اجواء وارى صورا تكون فيها الآلهة فى خدمـة الانسان ويكون الانسان ذلك الكائن المطواع ، الشاعر بالنعمة المكبـر للقـوة وللعظمة •

وان انت قرأت الاوذيسا بدت لك العلاقة وثيقة بين الانسان والاله او بين من يمـوت ومن لا يمـوت ، او بين الضعف والقوة ، او بين المرتزق والرزاق • وسرعان ما تمكنك تلك العلاقة من تصور ما كان للقدامى من نظرة طقوسية ، فيها من البساطة ما يوحى بطباعهم وأذواقهم وعقلياتهم ومفاهيمهم • وهو امر اصدق من الايحاء ، هو تصوير لحياة مغرقة فى القدم ، بما فيها من مثل عليا ، ومقاييس اخلاقية •

ان التصور الطقوسى لاولئك الذين عاشوا عصر الاليـاذة والاوذيسـا لا يختلف كثيرا عن تصورنا لما يحيط بنا من قوى خفية غامضة نسميها تـارة القضاء والقدر ، وطورا الشيطان ، واحيانا نرجع هذا وذاك الى مشيئة الله • ثم انه تصور يستجيب لحاجة الانسان الشديدة الى العون والعدل والحق •

واذ يجدر بمثقفي اليوم ان يطالعوا ملحمتي هوميروس وبالاخص الاوذيسا فلأنها تمتع عقولهم وارواحهم بما تمدهم به من خيال واسع طريف ، وتصور قديم ، ولكنه جديد غير مألوف في نظرنا للآلهة وللقوى الماورائية ، كل ذلك ضمن اطار حركي حي متجدد طقوسي شعري .

ثم هي بعد ذلك تعتبر المنبع الاصلي لكل ادب وفن . وكم يلذ للكثيرين منا ان يرتدوا صاعدين في وجه التيار الادبي الانساني حتى يدركوا المنبع ، فيقفوا على اسراره وما فيه من سحر باهر كان ولا يزال له الاثر الكبير في النفوس والآداب قديمها وحديثها .

وسوف لا تهزك الاوذيسا لمجرد ما فيها من روعة المعنى ودقة التصوير فحسب، وانما هي تنال اعجابك بحسن تبويب فصولها، ودقة تنظيم مختلف مراحلها كقصة عرفت كيف تحتفظ برونقها وجدتها عبر طويل الازمان وبعيد العصور .

لقد تعرض الباحثون في كثير من الجد والحماس الى مؤلف او مؤلفي الاوذيسا ، فاختلفوا كل الاختلاف ، ولكن هل في اختلافهم ما ينقص من قيمة هذه الملحمة او تلك ؟ .. وسواء الفت جميعها في وقت واحد او في اوقات متفاوتة وازمنة متباعدة ، وسواء نقحت او غيرت او دخلها التحريف والزيادة والنقص ، فان الاوذيسا هي الاوذيسا بروحها التي ركبت فيها منذ عشرات القرون . والحق ان العلماء ببحوثهم وتمحيصهم لم يضيفوا الى ذلك العمل الفني الا مزيدا من الرسوخ ، وحظوظا اوفر من البقاء والدوام .

ولم يقف بحث المفكرين عند حد ، فلقد حاول قدماؤهم ومحدثوهم كشف القناع عن تلك الامكنة التي غمرها الخيال ، وغلفتها الاسطورة في غشاء من المجهول والمطلق . وفي اعتقادي ان ما نسبوه اليها من تلك الامكنة الموجودة في جهات معينة من سواحل البحر الابيض المتوسط لا يفيد الاوذيسا بقدر ما يمس فيها ذلك الجو الخيالي الاسطوري السحري ليخرجه من عالمه الالهي الطقوسي الى عالم الاحياء الضيق .

ان اهم ما تمتاز به الاوذيسا هو انغماسها في عالمين متناقضين كل التناقض ، اولهما عالم الآلهة والارواح وثانيهما عالم المادة في اعنف واقوى مظاهرها . ومن

ذلك الجمع امكن ان تخلق وحدة متجانسة متكاملة قوامها العالم القديم بحضارته وتفكيره ومجتمعه • ولو شئنا ان نحقق هذه الوحدة المؤلفة من عالمي الآلهة والناس لما وجدنا غير عالم واحد هو عالم الاحياء ، بكل ما يميزه من استجابة شديدة لدواعي اللذة ، والخوف من عوامل الرعب والفزع • وما دور الآلهة في كل ذلك الا مجرد تدخل يصلح لتفسير مظاهر الانتصار والغلبة او الفشل والهزيمة او الحياة والموت • هي آلهة ولكنها تعيش مع الانسان فتسبب ما تسبب له من خير وشر •

فلا التغييرات المستمرة ، ولا التحويرات ، ولا حتى الزيادة والتنقيحات ، استطاعت ان تطمس معالم ذلك الجمال الاول لتسلسل تلك الحلقات التي تجعل في مصاف القمم المطلقة للادب الانساني • وهي مع ذلك وبعد كل تلك القرون لا تزال تستأثر باعجابنا : وكيف لا نعجب من تلك المقدرة وذلك الضبط في الاخراج واليسر في الحوار ؟ •• ثم من تلك القوة في التأثير ؟ •• واخيرا من كل هذه الدقة والقوة جميعا •

اما بالنسبة لاغريق العهد القديم فان الشعر الهميري يمثل بحق الكتاب الوطني ، وهو في ذلك يشبه الانجيل ، اذ يقبل عليه كل الفتيان الاحداث اليونانيين ليتلقوا منه ادبهم ، ويجدوا فيه الى جانب ذلك نماذج من الشجاعة والاقدام والذكاء • والابعد من ذلك ان منهم من كان يرى فيه المنبع الاصلي لكل حكمة وعلم ؛ بل لايزال علماء التاريخ والآثار واللغة ـ الى يومنا هذا ـ يكتشفون وفرة وغزارة في مادة بحوثهم •

لقد أحب الاوذيسا واعجب بها واستفاد منها ما يزيد عن المائة جيل ؛ فيااليت شعري كم جيل سيحبها ويعجب بها ويستفيد منها في المستقبل (2) •

م • د •

(2) دائرة المعارف • الفا ـ هوميروس •

الملحمة الاسلامية

شعر : عبد الله البشراوى

صوت من الله هز الارض يوقظها ... فآهتز سفح بها وآهتز عاليها
ولاح نور من العلياء منبثقا ... يدعو الشعوب إلى الاسلام يهديها
وزلزل الارض صوت الحق زعزعها ... « الله أكبر » دوى فى نواحيها
« الله أكبر » رب الأرض لا أحد ... من بعده مالك أو حاكم فيها
هز البشير وكان العار يحضنه ... صوت ينادى به : « إقرأ » لحاميها
وفوجىء الصادق الأمى فى وجل ... وأسرع الجرى نحو الدار يرويها :
« خديجة ، دثرينى إننى قلق ... والنفس فى فزع والخوف يحدوها
فمن ترى صاح بى : « إقرأ » ورددها ... قولى خديجة ، إنى صرت مشدوها »
فطمأنته وقالت وهى باسمة : ... « ابشر فذى ساعة كم كنت أرجوها
قد أنزل الوحى يا زوجى فيا فرحى ... وقد بعثت لهذى الارض تشفيها
القوم مرضى وداء الكفر يشملهم ... وقد أتيت لهذى الأرض تبريها »

* * *

وجاء عصر أبان الكفر منكسرا ... ومكة يكتسى بالنور واديها
أصنام مكة زالت لم يعد أثر ... لها ، وأنصارها صاروا أعاديها
هزيمة قدرت للفكر فانهزمت ... بلاده وارتمى فى النار واليها
وأمة الله قامت فى عدالتها ... فليس فى الأرض من شعب يحاكيها
الله والسلم والايمان رائدها ... والصدق فى القول ثم العدل قاضيها
عبادة الله والتوحيد مبدؤها ... وراية الحب والاخلاص تعلوها
والمسلمون سواء فى عقيدتهم ... لا فرق بينهم فالكل يحميها
فحققوا النصر ـ إذ شاؤوه ـ وانفتحت ... إليهم الأرض واحتلوا نواحيها
وسيروا الفلك فى الأمواج فانطلقت ... والله من فوقها قد ظل يحميها

عبادة الله قد جاءت بعزتهم ... ونصرة الله بالايمان نالوها
فهم عظام ورب الكون أعظمهم ... وهم شعوب ورب الكون راعيها

* * *

أواه يا قلب ! فالايام قاسية ... وكم رجعت إلى الرحمان تشكوها
أين الاخاء ؟ لقد ضاعت مكانته ... أين العدالة ؟ قد ضاعت معانيها
أين السلام ؟ وهذا الكون مشتعل ... أين المحبة ؟ لفت فى دياجيها
أين الديانة ؟ والاسلام مكتئب ... يبكي شعوبا غدا الاشراك يفنيها
أين الكرامة ؟ والأعداء قد ظلموا ... والنفس قاصرة عمن يعاديها
أين التشاور ؟ والأجزاء قد أخذت ... تبنى القطيعة سدا عن تدانيها
قد شوهت رفعة الاسلام وا أسفى ... إذ ليس فى الأرض من شىء يضاهيها
ضيعتم الدين فانهارت عظائمنا ... وقام فى أمة الاسلام ناعيها
لكنه لم يزل بالباب منتظرا ... فقد يعود لها الماضى ويحييها
فان أردتم فهبوا دون موتكم ... وجددوا هيبة الاسلام واحموها
وإن أردتم فسيروا نحو قبركم ... وراحة العيش تحت الرمل واروها

ع. ب.
دوز ـ ولاية قابس
المعهد الثانوى بقابس

من محتويات عددنا القادم :

- « صور محفورة فى وجه الماضى » قصة: للطاهر زعرور
- « مذكرة السيد رجب » قصة : لبوراوى سعيدانة
- « حبيبتى فى أول العهد » شعر : جميل أبو صبيح
- « قصة القدر » شعر : محمد علي الرباوى
- « الليلة الاولى والاخيرة » شعر : أحمد المختار الهادى

خبــر

ابن أُبي طوق

بقلم : صلاح الدين بوجـاه

الاهداء : الى كل « ابن ابى طوق »

حدث الجاحظ التعسافى قال :

كنت مجتمعا وأثيرين لدى على اشعار نتناشدها أمام دار لى اذ اقبل علينا بدوى ذو مهابة فسلم واستأذن فى الجلوس ثم خاطبنا فى جرأة غريبة فقال :

ـ يا بنى تعساف ، هل أتاكم نبأ أنفسكم وتناقضها وافك ألسنتكم وأيديكم ومـا يأتـى السفهـاء منكم وذوو الحجى من أباطيـل ثـم ينهون عنها فى استفظاع ..؟

فتبادلنا النظر عجبا من هذا الذى يستنقص أنفسنا الينا وأرهفنا السمع نلتقط كلماته وقد ادهشنا أمره فأردف :

ـ هل غركم ما أنتم فيه من صغر الدور وحسن الاثاث وليـن البشـرة ، فطفقتم تستصغرون شأن الناس وترمونهم بكل حقيـر وقـد عهدتكـم ممـن يستنكرون هذه الافعال ؟

فلم يزدنا كلامه الا حيرة فعاجله أحد جليسى :

ـ أفصح يا أخا العرب ، عم تتحدث ؟

ـ شهدت منذ اسبوعين مجلسا لكم بدار ابن ابى طوق فأثلج صدرى قوله وحلق بخيالى فى اجواء من العدالة عالية . وما رعانى منذ حين الا وابن أبى طوق ذاته يصرح بعكس ما أسلف .

ـ هل لك فى ان تروى لنا حديثه يوم الندوة واليوم .

ـ إليكموه كما سمعته منذ أسبوعين :

« أيا بني تعساف ٠

إن جرائم فظيعة ليقترفها بنو أمار وبنو براقة واني لاستنكرها ولأدعوكم بشدة الى استنكارها لقد خلق الله الورى سواسية فلا فضل لاحدهم على مثيله الا بحسن خلق ورجاحة حجى ٠ وان هاتين القبيلتين ليستعبد فيهما الابيض الاسود وينزله مرتبة أدنى من مراتب الحيوان فما علينا نحن يا ترى ؟

ان التنديد بهذه الافعال البدائية في مجلس القبائل ليمثل واجبنا الاعلى ٠ ثم انه من المتأكد على كل شعرائنا وذوى العبقرية فينا ان يولوا هذا المشكل عنايتهم فينشروا الوعى بين الناس ويوقظوا الهمم حتى يعلم كل واحد منا ان مجرد التعامل مع هؤلاء المتوحشين يعد ذنبا بين الذنوب »

وواصل البدوى فقال :

ـ هذا ما سمعته من صاحبكم يوم الندوة ، أما اليوم فقد وجدته أمام باب المسجد وبين يديه حسناء تنتحب وهو يقول :

« ان انت الا بدوية قذرة لا حسب لها ولا نسب ولئن احببتك يوما فانه ليس لك ان تتطاولى فتظنى أن في ذلك ما يجعل لك حق مطالبتى بالزواج منك ٠ ان الحب شيء والزواج شيء ثان ، ماذا يقول عنى بنو تعساف يا ترى اذا ما اقترن اسمى ببدوية ؟ ٠٠ »

* * *

واصل الجاحظ التعسافى قال :

ولم يزل الرجل يحدثنا مستنكرا أفعال ابن ابى طوق وبنى تعساف جميعا ويقـــول :

ـ ان بين الكلام والفعل لوهادا وجبالا يرتعش لها قلب الشجاع ٠ تستنكرون على بنى أمار وبنى براقة احتقارهم للسود وتستصغرون شان أناس يصابحونكم ويماسونكم وليسوا يختلفون عنكم في شيء ٠٠

ولم يزل بنا كذلك حتى جن الليل فدعوته للعشاء وواصلنا حديثنا ٠٠

* * *

حدثت قطة شهدت مجلس التعسافيين وصاحبهم البدوى قالت تخاطب ابن ابى طوق عبر أثيرية اللاوعى :

القلق انت ، انت القلق ، الاشياء تحاربك ، تكشف لك عن اسنانها، تزأر فى وجهك ، تقهقه ، تسخر منك ٠ انت لا تحسن القول ولا الفعل ٠ انت التناقض ذاته انت وجه من وجوه حياتنا التافهة البلهاء هذه٠ انت لا تعرف طريقك ، طريقك ليست لها بداية ، ليست لها نهاية ٠ الضياع يأكل وجودك ٠ الفراغ يبتلعك ٠ جذورك فى السماء وأغصانك فى الارض ٠ الناس يمشون حولك على رؤوسهم ، المكان هاجر الى عوالم الغربة والزمان انتحر على مذبح الابد ٠ الاشكال فقدت هويتها ، الالوان امتزجت ٠ تأخذ على الناس أفعالهم وتقترف الابشع ٠ أنت لم تعد ترى شيئا ، تنظر الى الوراء فاذا بالغثيان يغمرك تحدق فى الآتى فتتقيأ٠ الفوق والتحت لم يعد لهما وجود٠ انت لا تعرف نفسك ولا تعرف الاخرين ٠ أمسك لا شىء ولا شىء غدك ، أما حاضرك فلا شىء فوق لا شىء ٠ الشك يملأ عليك حياتك ، يعشش فى زوايا دماغك ، والامل الزائف يرفرف بين يديك مسافرا فى موكب حزن هازج ٠ ويسحقك الالم فتسأل نفسك عن جدوى وجودك فيجيبك الفراغ، يلقى بك الى عوالم الحيرة والقلق٠ أفعالك ليس لها معنى ، لقد باعت أزياءها ومزقت شهادات ميلادها٠٠ السواد صار بياضا ، البياض صار سوادا ٠ من أنت ؟ ماذا عليك ان تفعل ؟ ما هى مقاييس وجودك ؟ نقط استفهام مجللة بالحيرة ! وليس هنالك من جواب ٠ قطرة ماء فى محيط ، ريشة فى مهب ريح عاتية ، ليست تعرف مالها وما عليها ٠ ولست الوحيد يا ابن ابى طوق فكذلك كل بنى تعساف ٠

* * *

حدثت المنتحبة عند باب المسجد قالت :

أحببته حب النار للحطب ولها فيه حياة ٠ فأخلصت له ، وأبحت له من نفسى أفانين ٠ فتدانينا وتداوبنا وتمازجنا وكنا كلا ليس له انفصام ٠٠ وصفا لنا الدهر فصرت من غدى على اطمئنان ٠ وكنت أقول له واسمع منه فتنتشى روحى طربا ٠ فقد كان عذب الحديث ، قوى الحجة ، سامى الغاية ٠ فما زادنى ذلك الا هياما به ٠ ولقد كان ذا عقل وعلم ، يأخذ على الناس نفاقهم ويعمل جهده على جعل الطالح صالحا والسيء حسنا ٠ فصار معبودى بعد خالقى ٠ فهجرت بيت ابى شوقا الى جمال طلعة وسماحة روح ٠ وأتيته عند باب المسجد أطلبه للزواج ، وشفيع جرأتى ما عهدته عليه من صبابة ٠ فخيب ظنى ،

وأتلف أملي ، وكان ما رواه البدوى للجاحظ التعسافى وصاحبيه ....
....

* * *

واصل الكهل البدوى قال :

نحن دائما مثاليون اذا لم يتجاوز الامر حد القـول والضـرب على منتفـخ الطبول..أما اذا ما احتككنا بالمشاكل وجودا بوجود فالاختلاف بين وكبير.

* * *

واصلت المنتحبة عند باب المسجد قالت :

سوف تثقفه الايام وتقوم منه ما اعوج ، ان هو الا غر نصف عليم بمشاكل الحياة . فقد كان عليه ان يتذكر ان بنى أمار وبنى براقة يحتقرونه وينزلونه منزلة الحمير والبغال ..

* * *

واصل الجاحظ التعسافى قال :

سمعنا من صاحبنا البدوى كثيرا وقلنا له قليلا حتى ابتسم الفجر وما كاد ، فذاب من بين ايدينا وغاب عن اعيننا كتريع السراب .

فتبادلنا النظر عجبا من أمره وأرسلنا حدقاتنا وراءه فما عثرنا له على أثر ..

* * *

واصلت القطة قالت :

ـ مياو .. مياو .. مياو ....

* * *

حدث الفجر قال :

كان على ابى ابى طوق ان يبدأ بنفسه فيقومها ..

ص. ب.

... الى حنبعل

شعر : الهادى حمودة الغزى

لبيك جئتك محرما يا تونس　　أسعى إليك ، وما لشوقى مقصر
تجتاحنى نفحات خلدك خلدت　　ذكرى تراودنى ضحى فتنور
فكأنما حنبعل وافق زحفه　　زحفى ، وحلق فوق رومة ، مسفر
فأرى تهاويم الشروق تخب بى　　طورا ، وطورا فى الغمام تغور
بين الرؤى ، ومع الهوى تنداح بى　　أملا تراوده الظنون فيسحر
ساءلت روحى والسفار أذابها　　كوحيد أرملة سرى به مقبر
فالى متى هذا المسير على شفا　　جرف الأصيل وقصد حظك أغبر
ومتى يحط بك الشراع عشية　　كيما تراك مع الضباب ، الأنسر
فتماوجت فى الجانبين صوادح　　صم أثر مع الضباب ، ومعشر
سيان جداف ومفترش الحصا　　هذا يغص به ، وذاك يجرجر
ساءتك خاتمة الحياة فهل رأت　　عيناك خاتمة وأنت المبحر
لا الحظ ساعف والجدود تبعثرت　　والحزن ضاعف والنفوس تقطر
كفرا تجىء وفى مراعك ضبحة　　حرى وموجتك العتية تقبر
ما شئت من منن فأنت أخو الهوى　　فارع الضريع وجنتاك الأبحر
حابتك باسقة الحياة فكن لها　　عود الثقاب وخل دهرك يجأر
واستحصد الأمل الضنين وخل ما　　فات الألى فلكم ضلالا ، نضروا
سنن تفيأت العناكب ظلها　　وبقيت مبتسر الخطى تتعثر
سئمتك أنصاب حسوت ظلالها　　وهما ، وهمك ما تظن وتبصر
ما كنت أحسب والطوارق جمة　　أن الأمانى وهى وهم تنشر
سنة تقضت كالفتات تجمعت　　وهشيم أحلامى رؤى تتبخر
ورجعت منها ضاحيا بادى الونى　　قلب يغور ومهجة تتأطر
جنحت بها ذات الدواليب ضحى　　تلج الضباب وطبعها مستنفر

تجتاح فارهة المناكب حرة ... تقرى الشريد وبالأنيس تطير
فى زحفها وفحيحها عزم الألى ... طلبوا السموق فأنجدوا وتخيروا
فاذا سمت شامتك ثمت أسرعت ... حرى ونار الشوق فيها تسعر
مبهورة لا الجهد أبطأ خطوها ... عند المقيل ولا الحلول تخير
فطرت على خضر الصنوبر غدوة ... وعشية ما أن ترى تستبشر
وجه الحياة وسر إشراق المنى ... ورواق عز المنعمين و « مكثر »
بسط الهوى للوافدين تكرما ... فجلا النفوس وفاخرت به « مكثر »
لله أرضك صيفها وربيعها ... وخريفها وشتاؤها المتآزر
حلت حلول النسر ما بين الربا ... وعنت لها قمم الرواسى الحسر
فى بهو أطلسها شوامخ عزة ... وعلى الخليج أطل فيها المفخر
صدقت مواسمها فمن ذا ينكر ؟ ! ... وطبيعة إحرامها وتطهر
إن كنت تونس كعبة فلمكثر ... قسمات يشرب ما تجن وتظهر
يكفى المكذب أننى فى أرضها ... إعجاز يعرب ، مبصر ومبصر
فاذا قصدت فما لقصدك ضلة ... وإذا عطفت فمكتريس يخبر
مهد الحضارة شب فى أحضانها ... وهضابها لسنا الهداية معبر
لله ، للتاريخ بين ربوعها ... آياته الكبرى فمن ذا ينكر ؟ !
موسومة شهدت بخالد مجدها ... رسل الحقيقة والذين تخيروا
فى جبهة التاريخ ماثلة بدت ... وعلى مناكبه تخط وتنشر
حرم المسيح وأمنه وسلامه ... وببابها أرج الحياة معطر
أيام لم تبق المدائن عزة ... والكون أربد والحقيقة تقبر
فهناك مختبط الصغائر والهوى ... وهنا الصوامع والهداية تنشر
وصحا الوجود على الهدى فياضه ... رضيته مكة والمدينة تنصر
وتفجر التاريخ فى أرجائها ... ولشمسه فى ربوع تونس منظر
نكسو الكنائس بردة لماحها ... هام الوجود به وهلت مكثر
وطلائع الفرقان تفعم ساحها ... ومآذن التنزيل تعلو وتجهر
الله أكبر ذاك فجر محمد ... وشعاره ودثاره والمشعر
حى على الاصلاح ناطقة به ... سور غذت آباءنا فتدبروا

وقفتها مكثر سنة إشراقها — لم يبق فيها لمظهر ما يضمر
ومواكب التجديد بين ربوعها — هذا يغص بها ، وذاك يكبر
كملت بها وتجملت بمعاهد — جنباتها شتى المحاسن صور
حياك ربك يا ربوع محمد — فلكم بسطت وحار فيك معبر
ماضيك فيك طلائع موسومة — وبحاضر فيك الحواضر تفخر
فعلى اليمين إذا دخلت ، مسلم — وعلى الشمال إذا عطفت مكبر
وحديث قرطاج عليك منشر — أعلامه ولنبعل المنبر
والثائرون تشدهم عزماته — لذرى المعالي فيزدهيه المنظر
ما قلت إلا · أنت فوق مقالتي — ولو اجتهدت وصح مني المكسر
طابت بك الأيام ما طاب الهوى — ولصرح مجدك لا يزال معمر
بان يخط وجيل أحمد ثائر — يبني الحياة ويعرب يتنظر

ه· ح· غ·

من الكتب الجديدة :

على ضفاف مجردة ـ ديوان شعر للاستاذ فاضل خلف

182 صفحة ـ الثمن غير مذكور

منشور بالكويت

أهدانا الصديق فاضل خلف ـ مشكورا ـ ديوانه الشعرى الجديد « على ضفاف مجردة » ، وفى العنوان فقط ما يكفى للتدليل من ناحية على مدى تأثر هذا الاديب الكويتى بمقامه فى تونس ومعاشرة أهلها ومن ناحية أخرى على المناخ الذى استوحى منه وصاغ فيه قصائد هذه المجموعة التى بلغت الاربعين · ويضيف الدبلوماسى الاديب بهذا الديوان أثرا آخر الى كتبه السالفة التى نعرف منها (أحلام الشباب) و (فى الادب والحياة) و (دراسات كويتية) · نتمنى للشاعر فاضل خلف مزيدا من الانتاج ونشكره على هديته مجددا ·

ست لوحات الى امي

بقلم : بنت البحر

الذكـرى :

ذكرتك يا وجه أمي وأنا أجلس وحيدة عند منتصف الليل وشعاع مصباح كهربائي عند رأسي ٠

ذكرتك في يوم حافل ، والمسرح يعج بالاجساد ، وأنا أنظر الى الوجـوه ، الى الناس ، واسترق النظر اليك وفي قلبي هم ثقيل ٠ ذكرتك أيهـا الوجـه المغفر بالضباب ، فسقطت قطرة سوداء فجأة في قلبي ، وشحب الضوء الساهر معي ٠ وسدت حلقي غصة ٠ آه لو أعود متحررة من قيد المكان ، فقط خطوة من الزمن الى الوراء ٠

الخـــوف :

رأيت ، ليلة ، في منامي طفلة هاربة ، وانت تلاحقينها بالحجر كانت صغيرة ، صغيرة ، كعصفور مكسور الجناح ٠ ومرة ، رأيتك تجرين سكينا قاطعا على عنقي وأنا ارتجف ٠ كنت نبتة وحيدة في صحراء الخوف والقلق ٠ كنت اخافك يا أمي٠ أخاف يدك تطعمني المرارة ، وتسقيني ملوحة بحرنا٠ فقد كنت تقتربين مني بوجهك الجاد الصارم ٠ وتمعنين في السؤال والاستقصـاء ٠ وتسرعيـن الى الجلد ٠

لكم تألمت يا أمي من سياطك ! ولكم رأيت فيك الجلاد المخيف ولكم حاولت أن أقود الثورة ضدك ! لكم حاولت ! ولكم عجزت عن البوح والافضاء !

الهـــروب :

رأيت فجأة باب التنفس ينفتح ٠٠ فتحت عيني ٠٠ انبهرت ٠٠ تملصت ٠٠ وانزلقت من بين اصابعك ٠٠ جريت ٠٠ وهربت ٠٠ وابتعدت حتى غاب عني

آخر خيط من زرقة بحرنا ، نفضت يدى من كل ذكرى ، ومضيت ناسية كل الجذور ، ماحية صورة الوداع السريع المقتضب والدمع يترقرق فى عينيك ٠

اليقظـــة :

زرتك في يوم عيد بعد شهور طوال٠دعوتنى الى مسرحية٠مضينا معا٠كنت بجنبك ، وكنت تحيطيننى بنظرات الزهو والاعجاب ، كنت اتجنب نظراتـك واتلهى بالنظر الى الوجوه ٠٠ احسست يومها فى نظراتك طهرا غريبا ، عمقـا لذيذا ٠٠ ولكنك لم تشعرى بحقيبة أحزان أودعتها كل اتعاب السنين ٠

لم اكن ادرى انه سريعا ما يمر الربيع ، وتخلو السماء من كل لون ، ليترع فيها الضباب ، ويتراكم تعب السنين ، ويتراكم القلق ٠ هكذا ، توارت لذة المغامرة ، ولذة المجهول والرحيل ، وضاعت الحدود والمعالم ٠ واتسعت صحراء التيه ، ودب فى داخلى الاسى والاسف ، وبدأت تستيقظ ذاكرتـى النائمـة لتطفو على صفحاتها الذكريات ، ويتدفق الحنين الى الجنة المفقودة ٠

الأســـف :

الليل انتصف يا أمى ٠ وانا وحيدة ٠ نجحت فى هروبى من الجذور ، من بحرنا ومن حديقتنا الصغيرة المسيجة ، ولكنى بقيت وحيدة ٠ سأنام بعد حين ، ولن تلملمى على جنبى الغطاء ، وسيسقط عنى ، ولن تستيقظى فى ظلام الليل وبرده لتدثرينى ، ناشدة راحتى فى نومى ٠ وقهوة الصباح لن تمتـد جاهـزة ، شهية الى يدى ٠ الحدب الذى تحت الصرامة ينكشف ، لن يحمينى اليوم منقسوة الوحدة ٠ أين لى به ؟ وبأى ثمن عظيم اليوم اشتريه ؟! صنعت قهوتى السوداء وحدى جلست فى بيتى الكبير وحدى ، وفوق اكتافى حمل السنين ، وصور فى خاطرى توقظ فى ألف حسرة ٠

فلو لم اشته الرحيل لبقيت فى حضنك طفلة ، ولحظيت بحبـك أكثـــر ، ولما تحملت اتعاب الغربة فى كل ارض ٠

ولو لم أسىء لجذورى لبقيت فى حضنك طفلة ، أتفيأ دوما ظـل حنانك ، لانـى ادركت اخيـرا انـك تجاوزيـن الحـدود ، وانـك اكبر من الكلمـات ، ومن مجرد راعية للطفولة ٠

المستحيـــل :

انت الآن يا أمي بخاطري،لم تعودي ذلك الجلاد القديم،لم تعودي ذلك القيد الخانق • لقد كنت الحب والعطاء والبذل مستورا • فكيف لي اليوم ان اعود الى ينابيع عطفك وحنانك انهل منها دون ارتواء ؟!

كيف اعود وقد قطعت سبيلي اليك هواجس ووساوس وذنوب تراكمت على ضميري سنين • ليس لي اليوم سوى ان احلم بالانطلاق مهيضة الجناحين •

قريبا يحل يا أمي عيدك • سأبعث اليك بالورد والياسمين وكل اعتذاراتي واذكريني في يوم عيدك يا أمي ، واذكري انني اسهر وحدي اطالع كتابا او مجلة ، وارشف قهوة سوداء • وحنين اليك يقودني الى كل اركان بيتنا القديم يسأل عنك ، ويطلب غفرانا ورحمة • يود عودة ، لكن ، لا من سبيل الى عودة من نفس الطريق •

من الكتب الجديدة

« لعبة مكعبات الزجاج »
تأليف : أحمد ممو
120 صفحة ـ الثمن غير مذكور
نشر الشركة التونسية للتوزيع

وان بدأ احمد ممو كتابة القصة من حوالي ثماني سنوات فان هذه أول مجموعة قصص تصدر له ، وهي تحمل عنوان آخر قصة في المجموعة المتركبة من 15 قصة قصيرة جاءت مرتبة حسب تواريخ كتابتها • الكتاب الى ذلك محلى بصور رمزية ويحمل في صفحة غلافه الخارجية بعض ما قاله النقاد في أدب أحمد ممو ، ومنهم الناقد العراقي على الشوك الذى يرى ان ممو يجرب استخدام « فكرة النسبية في تقنية القصة وذلك بتغيير وضعية الاشخاص فينتقل بين الواقع والرمز وكأنه ينتقل من بعد الى بعد ، ولكن المشكلة عنده تبقى مشكلة كلمات ••• » •

وقد وصلتنا نسخة مهداة من المؤلف فله شكرنا وتمنياتنا بمزيد الانتاج •

رقصة الرفض

شعر : البشير المناعي

وتراءت ٠٠ فى دجى الليل أباديد الخواطر
ثغر أنثى ٠٠ موت طفل ٠٠ نوح ثكلى
أكمه دامى المحاجر !
وصحارى ، لم تطأها قدم تهوى المخاطر !
يا لها ٠٠ تلك المشاعر
أرقتنى ٠٠ صيرتنى صامد العينين ، ساهر
كان رفضى فيه موتى ، فيه بعثى والمقابر
روعتنى
يا صديقى ٠٠ هل أغنى لحبيبى ، أم أغنى للمصائر ؟!

* * *

لست أفاقا ٠٠ وما كنت مغامر !!
يستحيل الزيف فى كفى أساور
واللآلى فى طريقى ٠٠ فى أكفى تتناثر
أنا ابن الكوخ ٠٠ طفلا ، وشبابى
وشبابى للمنابر !
قلمى ٠٠ والصفحة البيضاء زادى ، والمعابر
فاذا ما اللحن غنى ذات يوم بالبشائر
فتأكد يا صديقى أن ذاك الوقع رقصى
بين كثبان المجازر !!

ب٠ م٠

مطالعات

قراءة متأخرة لديوان الزنج

بقلم : عبد السلام بن عامر

ملاحظة أولية :

حين أتيح لى مطالعة مسرحية « الاخبار » تأليف مصطفى الفارسى والتيجانى زليلة ، وقفت مشدوها أمام الصمت الذى تلا ظهورها فى حين انها ، وبصراحة ، تشكل عملا أدبيا لا يقل روعة عن « السد » الذى مازال ، منذ اكثر من عشرين عاما ، « يهز الارض ويقعدها » .

وحين تمكنت أخيرا من اقتناء « ديوان الزنج » تأليفا – وقد تعذر على تأملها قبل ذلك لظروف صعبة – وجدت نفسى أعيد قراءة « الديوان » المرة تلو الاخرى ، وبينى وبين نفسى أردد : « يا لجريمة نقادنا ! .. يا لجريمة مثقفينا ! .. كنز كهذا يبقى مغمورا .. ويحرم منه من لم يتمتع به مسرحيا ، فى الحمامات ، وفى قرطاج ، وفى المنستير .. !؟ » فى اعتقادى أن مركب النقص فى بلادنا والمتمثل فى الاستخفاف بكل ما هو تونسى ، مازال يسيطر على عقول مثقفينا .. وأن « سد » المسعدى ، لولا اعجاب طه حسين وعبد الحميد يونس – الدكتورين المصريين ! – به ، لما وجد طريقه الى عقول وقلوب الناس ، هنا .

ديوان الزنج : ادراك واع لمشاكل العالم الثالث :

بالاضافة الى الخطوة العملاقة التى يخطوها عز الدين المدنى بتجاوزه الشجاع لاشكال المسرح التقليدى ، والتى تستحق دراسة مستفيضة ، يسجل هذا المفكر التونسى رائعة أخرى من روائعه الجادة من خلال مواقف تاريخية وأسطورية (خرافية) مازالت تعيش معنا .. وتأكل « الماء والملح (1) » ! ، وفى هذا الديوان المسرحى الذى يقول عنه المؤلف – أحد شخصيات المسرحية –

(1) من مؤلفات عز الدين المدنى فى هذا المجال :
– خرافات (مجموعة قصص) الدار التونسية للنشر 1968
– ثورة صاحب الحمار (مسرحية) الدار التونسية للنشر 1971

« ٠٠ لقد ألفت هذا الديـوان المسرحـي على ضـوء الثـورات ، والانتفاضـــات والانقلابات التى جرت فى النصف الثانى من القرن العشرين فى عدد من بلدان العالم الثالث (2) »

فى هذا العمل نجد المدنى الاديب الذكى الذى يتناول مشاكل الحاضر من خلال حقائق تاريخية قديمة ، ولعل من اسباب نجاح الكاتب ايمانه بالانسان ، وامانته فى فهم التاريخ وبالتالى أمانته مع نفسه ، العربية الاسلامية من جهة ، والمنتسبة الى عالم محكوم عليه بالخضوع الى « السارق ، شارب عرق الجائعين (3) ٠٠ »

ان أبرز مشاكل العالم الثالث ، عالم عز الدين المدنى ، تتمثل فى تحقيق آمال أربعة :

1) السيادة الترابية (التحرر من الاستعمار)
2) البناء الداخـلى ٠
3) التزام موقف الحياد (عدم الانحياز)
4) التعامل النزيه مع العالم المتقدم ٠

واذا أردنا معرفة موقف الكاتب ، او بالاحرى رؤيته لواقع هـذا العـالم من خلال هذه المشاكل ، نجده ينظر الى البناء الداخلى على أنه أصعب من العمل على الاستقلال السياسى :

يقول على بن محمد ، زعيم ثورة الزنج ، أمام الامر الواقع بعد نجاح الثورة : « شعب جاهل جاهل ! أرأيتم ، ان الحرب أيسر علينا من بناء المدينة (4) ؟ »

أما عن معضلة الانحياز ، فى عالم « سيء النية » فان ستة مـن السبعـة ، أعضاء مجلس الثورة ، ينحازون تلقائيا وحين يدركون ذلك فى آخر المطاف ، لا يجديهم « صدقهم وايمانهم » نفعاً ٠٠ رغم تحذير أصغرهم :

---

(2) نجد هذا البيان في الطور الاول فوق الركح الثانى (ديوان الزنج ص 99)
(3) ديوان الزنج – ص 89
(4) نفس المرجع – ص 51

يقول رفيق : « الاخلاص يكون دائما متحيزا • والصدق يكون دائما متحيزا ، ودع عنك الاتهامات (يقصد على بن محمد الذى اتهمه بالتنكر لمبادىء الثورة ، حين عارضهم) أبصر حواليك يا رجل ! أنت ساذج ! كيف تخلص النيـة مـع رجال لهم سوء النية ؟ وسوء الطوية ؟ وسوء الظن ؟ كيف ؟ قل لى : هل يجتمع الذئب والخروف ، ويتعـايشان تحت سقف واحـد ، ويتحـدان فـى اتجـاه واحد (5) ؟ » أما عن تطلعات العالم الثالث « لتعامل نزيه مع العالم المتقدم » فان « معضلة تسويق ملح سباخ البصرة (6) » مثل واضح لاستحالة هذه الغاية ، ففى حين يتكلم المتقدمون **انسانيا** فى البداية ، يقول أبو المحامد وهو أحـد أعضـاء الوفـد العبـاسـى الرسمـى الى مجلـس ثـورة الزنـج : « •• ولنتعامل لما فيه خير الانسان سواء كان حبشيا أو عربيا أو فارسيا أو بربريا (7) » بعد ذلك يملى أحدهم الشرط ـ المأساة وهو « التعهد باقامة الصلوات الخمسة باسم المولى والسيد الخليفة (8) »

تلك فى ايجاز أهم النقاط التى فهمتها من مسرحية عز الدين المدنى وهى نقاط حساسة جدا فى عالمنا اليوم ، بقى أن تعمل أقلام العاملين فى الحقل الثقافى على التعمق فيما يثيره هذا الديـوان المسـرحى من قضايـا فكـرية وقومية واجتماعية بل وحتى عالمية •

وأختم هذه الخواطر بتقديم اعتذارى الى عز الدين المـدنى ، وبتـوجيـه تهنئتى ـ ولو متأخرة ـ لقلم وعد بالكثير والكثير ، وأخشى عليه « الاستقالة » فى زمن فقدنا فيه النقاد !

ع• ب• ع•

---

(5) نفس المرجع ـ ص 90

(6) الركح الاول ـ الفصل الثانى (من صفحة 56 الى 97)

(7) ديوان الزنج ـ ص 67 •

(8) نفس المرجع ـ ص 71

أضواء الفكر

• **عن مجلة « الفكر » ودورها الثقافي :**

نشرت مجلة « المحرر » اللبنانية مقالا للاستاذ جواد صيداوى تحدث فيه عن التباعد الفكرى المستمر بين عرب المشرق وعرب المغرب فى وقت نزعم فيه بأن الحواجز بين بلداننا قد زالت وأن أواصر اللقاء بين شعوبنا قد قويت واشتدت ثم تخلص للحديث عن مجلة « الفكر » باعتبارها (انعكاسا أمينا للنشاط الادبى والفكرى المعاصر فى تونس) فقال :

« بدأت « الفكر » بالصدور مع فجر الاستقلال باشراف السيد محمد مزالى وقد صدر العدد الاول منها على وجه التحديد فى شهر تشرين الاول 1955 ، ولا تزال تصدر شهريا وبانتظام واذا نحن أردنا القاء الضوء على ما قامت به الفكر خلال هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الشعب العربى بتونس ، من اسهام جليل فى تطهير العقول من رواسب الاستعمار ، وفى احياء التراث العربى ، قديمه وحديثه فى شمال افريقيا ، وفى ارساء دعائم ثقافية تونسية عربية أصيلة ، وفى تكوين جيل جديد من الادباء ، وفى الانفتاح الواعى والمسؤول على مواطن الفكر الاصيل فى شتى أنحاء العالم ، اذا نحن أردنا القاء الضوء على كل ذلك أو على بعضه ، لطال بنا الحديث الى غير انتهاء .

ومن خلال العدد الاول من السنة العشرين الصادر فى تشرين الاول 1974 يمكننا التعرف الى هذه المجلة والى دورها الثقافى البارز .

يضم هذا العدد بين دفتيه باقة من القصائد حيث تحجب الاصالة الشعرية فى بعضها الضحالة والتسطح فى بعضها الآخر وترتفع الهموم القومية والانسانية فوق الهموم الفردية الضيقة. ويجدر التنويه هنا بقصيدة الشاعر التونسى أحمد اللغمانى « سوف أعود » وزميله محيى الدين خريف « اعترافات أيمن بن خزيمة » وبقصيدة الشاعر السورى المعروف شوقى بغدادى « من عند الصفر » .

وفى المجلة خمس قصص كتبها أدباء تونسيون وسوريون وهى « الرجل ذو القلب القرطاس » ليوسف خياط ، « خالتى مبروكة » لعدنان الداعوق ،

« الـدرس » لعلي الشملي ، « أفكـار عـن سبتمبـر » لمحمد باردى ، وأخيرا « رسالة اليه » لحياة ابن الشيخ ٠

أما على صعيد الابحاث فيستوقفنا بحث طويل للكاتب نور الدين بن بلقاسم يتحدث فيه عن « واقع الفكر والادب فى البلاد التونسية » ، وهذا البحث علـى الرغم مما يتسم به من تعليمات ظالمة ، ونزعة متشائمة ، ومنهج فى النقد قديم لا يخلو من نظرات صائبة فى واقع الفكر والادب لا فى تونس فقط بـل فى معظم دولنا العربية وكنا نود لو أن الناقد تخلى عن ذلك التصنيف التعسفى للادباء والمفكرين وتناول بالبحث النتاج الادبى والفكرى قصد تقييمه تقييما بعيدا عن الانفعال ٠ »

◆ دور النشر تختار العرب :

جاء فى مجلة « لى بوان » Le Point الصادرة بتاريخ 10 فيفرى 1975 أن « جاك ميدسان » Jacques Medecin شيخ مدينة نيس الفرنسية الذى كان مناصرا متحمسا للاسرائليين قطع علاقاته معهم من أجل مهرجان الكتاب المقبل الذى سينتظم فى الثانى من مارس بنيس ٠ فقد اختار عـوضا عـن عن الحضور الاسرائيلى فى المهرجان وجود بلدا عربيا سيقيمـون « نـدوة متواصلة لثقافة البحر المتوسط »

◆ اتفاق للتعاون الشامل بين تونس والعراق :

سافر فى أواسط الشهر الماضى الى بغداد وفـد تـونسى يمثـل مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لاعداد اتفاقية للتعاون الشامـل بين البلدين الشقيقين ، ويساهم فى الوفد زميلنا السيد عبد العزيز العاشورى نائبا عن وزارتى التربية القومية والشؤون الثقافية ٠

◆ وفد تونسى فى الاحتفال بذكرى المرحوم الدكتور طه حسين :

دعى كل من السيد محمد اليعلاوى عميد كلية الاداب بتـونس والسيـد البشير بن سلامة نائبا عن اتحاد الكتاب التونسيين الى القاهرة للمساهمة فى الاحتفال بذكرى المرحوم الدكتور طه حسين الذى نظمته وزارة الثقـافة المصرية بالاشتراك مع مجمع اللغة العربية ايام 26 و 27 و 28 فيفرى ٠

• **حول الملتقى التاسع للفكر الاسلامي بالجزائر :**

تعلم وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية بالجمهورية الجزائرية أن الملتقى التاسع للفكر الاسلامي سينعقد في تلمسان من الفاتح الى العاشر من رجب 1395 هـ الموافق العاشر الى التاسع عشر يوليو 1975 م ·

وقد دعيت الى الملتقى شخصيات جامعية ورجال بحث من الجزائر وغيرها من أنحاء العالم الاسلامي لالقاء المحاضرات ، وعقد الندوات ، والمناقشة فيما بينهم بحضور الطلبة ومشاركتهم ·

هذا وسيكون جدول الاعمال كالآتي :

1) مساهمة تلمسان الزيانية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين ـ أسباب ازدهارها وعوامل انهيارها ·

2) موقف اسطنبول ازاء الغزو الاوروبي للعالم الاسلامي ·

3) موقف اسطنبول وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها ·

4) هل كان الشعر في الاندلس سبباً في انحلال اخلاقها ثم سقوطها ، أم كان لهما مجرد مرآة وانعكاس ؟

5) دور الآداب والفنون عموما ، والشعر والموسيقى خصوصا ، في تعزيز أخلاق أمة أو انحلالها ، وفي شحذ عزائمها أو قتل روحها ·

6) العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام وأوضاع الامة الاسلامية اليوم ·

الفهـرست

العـدد 6 ـ مـارس 1975 ـ السنـة العشـرون

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى

رئيس التحرير : البشير بن سلامة
سكرتير التحرير: عبدالواحد براهم
الادارة . 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تليفون : 260.237
الحساب الجارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .
اشتراكات بالخارج 3.500 ثلاثة دنانير ونصف
اشتراك الانصار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »
صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL FIKR - Revue mensuelle culturelle 20• Année N• 6 Mars 1975

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنحى سليم ـ تونس